هدي الإسلام

إسلامية | علمية | أدبية

مجلة دورية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

العدد الخامس - المجلد ٦٦ - رمضان ١٤٤٤ هـ - نيسان ٢٠٢٣م

المشرف العام

معالي الدكتور محمد أحمد الخلايلة

وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

رئيس التحرير

عطوفة الدكتور عبدالله عقيل

أمين عام وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

رئيس اللجنة العلمية والاستشارية – مستشار معالي الوزير

الأستاذ الدكتور شحادة العَمْري

نائب الرئيس

الأستاذ إسماعيل فواز الخطبا

مساعد الأمين العام لشؤون الدعوة والتوجيه الإسلامي

مدير الوعظ والإرشاد

أعضاء اللجنة العلمية والاستشارية

الدكتور غالب الزعاريـــر

الدكتور علي المناصير

فضيلة الشيخ عبدالرحمن عمورة

الدكتور معاوية البطوش

المحرر المسؤول

الدكتور منير الجعفري

البحوث والمقالات التي تنشر في المجلة تعبر عن رأي أصحابها

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الأردنية الهاشمية العربي الإسلامي المتميز في المحافل العالمية.
- العمل على ربط حاضر الأمة بماضيها المشرف لتظل الفروع متصلة بالجذور.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية، وتدعيم قضاياهم المشتركة.
- نشر الدعوة الإسلامية، وإبرازها في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على أساس من الاحترام المتبادل.
- العمل الدعوي والوعظي لبناء جيل مؤمن مثقف قادر على الإسهام الحضاري.
- الاهتمام بالقضايا الرئيسة والمشكلات الإنسانية، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الإسلامي المعتدل، ورسالة الإسلام الخالدة.
- التأكيد على الهوية العربية الإسلامية الجامعة.
- اعتماد المصطلحات الإسلامية الهادفة، وتصحيح ما لا يتفق مع الشريعة الإسلامية.
- العناية بالمناسبات الإسلامية، وضرورة اغتنامها، وإصدار اعداد خاصة بها.
- فتح نافذة جديدة للباحثين محلياً وعالمياً؛ لنشر علومهم وبحوثهم ومقالاتهم في مجال التخصصات العلمية الشرعية والدعوية.

سياسة المجلة

- إبراز دور وزارة الأوقاف الريادي في الدعوة والوعظ والإرشاد، والمحافظة على المقدسات الإسلامية حسيا ومعنويا.
- محاربة التطرف والغلو، وتجنب كل ما يثير الفتن، ويشق الصف، ويضعف الأمة ويسيئ للإنسانية.
- العناية بالمذاهب الفقهية الأربعة المتبوعة، وإبراز دورها في بناء الأمة، وتعزيز وحدتها، ونبذ التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والوسطية والاعتدال، والتعاون مع كل الجهود العلمية الإسلامية المبذولة في تحقيق ذلك.
- تحقيق المصلحة العامة في ضوء النقل والعقل بما يخدم الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة.
- نشر الحضارة الإسلامية الزاهرة، وبيان مميزاتها مقارنة مع الحضارات العالمية، واعتماد الحوار الهادف وسيلة لنشرها، واحترام الرأي الأخر.

فهرس المحتويات

١	الافتتاحية	معالي الدكتور محمد أحمد الخلايلة وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية	٥
٢	وقفات إيمانية مع النبي ﷺ في حجة الوداع	سماحة الشيخ حسن صالح المخاترة	٨
٣	تنزيل نداء :(أيها الناس)في حجة الوداع على رسالة عمان	الأستاذ إسماعيل فواز الخطبا	١٦
٤	الذكر والشكر في آيات الحج وبناء الشخصية الإيمانية للفرد والأمة	الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الكيلاني	٢٦
٥	التلبية شعار عظيم في اللفظ والمعنى	الدكتور محمد يونس الزعبي	٣٢
٦	عرفة وعرفات في الكتاب والسنة	الدكتور محمد عواد الفاعوري	٤٢
٧	أسرار يوم النحر وأحكامه وما جاء فيه	الشيخ عبد الرحمن عمورة	٥٠
٨	الحج المبرور	الدكتور ماجد المومني	٦٥
٩	أسرار الحج عند الحكيم الترمذي	الدكتور محمد عواد الخوالدة	٧٤
١٠	أسرار الطواف حول الكعبة المشرفة	الدكتور غالب الزعارير	٨١
١١	تعريف الحاج والمعتمر بالأماكن الدينية والتاريخية من اليرموك الكرامة وحتى وداع البيت العتيق	الدكتور منير الجعفري	٨٨
١٢	أذكار الحج	الإمام النووي – رحمه الله تعالى–	١٠٦

قال تعالى:

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

سورة: (البقرة: ١٩٧)

الافتتاحية

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾

معالي الدكتور محمد أحمد الخلايلة

وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله – تبارك وتعالى – فرض الحج على عباده المسلمين ، فقال في محكم كتابه المبين :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ (آل عمران،٩٧)، وقيدت هذه الفريضة بالاستطاعة المالية والبدنية.

والحج ركن مِن أركان الإسلام التي بُني عليها، وهو من أفضل الطاعات والقربات إلى الله تعالى

فعن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول ﷺ:«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: سُئل رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حَج مَبْرُورٌ». أخرج البخاري ومسلم

والحج عِبادة قديمة فرَضها الله تعالى على مَن قبلنا ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن

فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ (الحج: ٢٦ – ٢٨)

فأمر ربنا سبحانه أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس إشعاراً بمكانة الحج؛ ليأتي الناس من كل فج عميق تعظيماً لبيته العتيق ، فقال تعالى :﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(الحج،٢٧).

لبى إبراهيم – عليه السلام – النداء ، فنادى بأعلى صوته عند بيت الله المحرم أيها الناس : إن الله فرض عليكم الحج ، فحجوا ، فاستجاب للنداء كل من قدر الله تعالى له الحج ، فقال :(لبيك اللهم لبيك) ، وهم في عالم الذر قبل أن يكونوا بشراً سوياً.

إن الله عزَ وجل علق القلوب بحب هذا البيت، وجعل الأفئدة تهوي إليه؛ استجابة لدعاء إبراهيم – عليه السلام – حين دعا الله تعالى بقوله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم، ٣٧).

لقد يسر الله تعالى الحج في عامنا هذا ، وسهل سبيل الوصول إلى الكعبة المشرفة ، فتسابق المسلمون من كل الآفاق لأداء فريضة الحج ، الركن الذي يحمل في كيانه تعظيم بيت الله تعالى بأداء المناسك اقتداء بسيدنا رسول ﷺ الذي علم الصحابة – رضي الله عنهم – مناسك الحج ، فقال : (خذوا عني مناسككم).

ومن أنعم نظره في قوله تعالى :﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(الحج،٢٧) يدرك أن بعض العباد يأتون الى بيت الله تعالى مشاة على أقدامهم طاعه لله رب العالمين الذي خلق فسوى وقدر فهدى، وهو معنى قوله تعالى (رجالا) جمع راجل، فهذا الصنف من الناس نال درجه السبق، وصار من السابقين السابقين.

وقديما كان الحجاج يأتون البيت الحرام ممتطين الإبل والخيل والبغال وغيرها ، وقد

أصبحت هزيلة من طول السفر ،وتحمل المشاق من الآفاق، ولقد يسر الله تعالى لنا وسائل النقل الحديثة والمريحة ، والتي اختصرت الزمان والمكان وصولا إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج في أيام مباركات.

وفي مكة المكرمة يجتمع الحجاج على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، وتباعد أقطارهم وديارهم ، ولكنهم متفقون على أن دينهم واحد وهو دين الله الإسلام الخالد.

وفي يوم عرفات يتحقق التعارف والتآلف بين الجميع في موقف مهيب ، فهو لقاء عظيم في يوم عظيم ،وفيه أنزل الله تعالى قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة، ٣)،ونال عظمته أيضا في خطبه حجة الوداع ، الخطبة النبوية الجامعة المانعة التي خاطبت الناس سبع مرات ، وبينت معالم الحياه السعيدة للمسلم خاصه ، ولكل إنسان في الوجود عامه.

فالحج مؤتمر ديني كبير، يجتمع فيه المسلمون مِن مشارق الأرض ومغاربها؛ لتأدية هذه الفريضة العظيمة ، فيجتمعون في أفضل الأيام، وأطهر البقاع منيبين إلى الله تعالى متوجهين إليه بلسان حالهم ومقالهم : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

فحري بالمسلمين عامة وبالحجاج خاصه في موسم الحج أن يقتدوا برسول الله ﷺ وبصحابته – رضي الله عنهم – الذين شهدوا التنزيل ، وأن يحققوا الوحدة الإيمانية كما حققها أصحاب رسول الله ﷺ في حياتهم ، وخاصه أن الأمة تعيش في معترك حضاري لا مكان فيه للتفرقة ولا للتشرذم ، فلتكن قوتنا في وحدتنا ، ونتذكر دائما معنى قول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ سائلين الله تعالى أن يحفظ بلدنا هذا ، وسائر بلاد المسلمين، وأن يوفق الله سليل الدوحة الهاشمية جلاله الملك عبد الله الثاني ابن الحسين وولي عهده الأمين سمو الأمير الحسين – حفظه الله تعالى – ووفقهما إلى كل خير.

والحمد لله رب العالمين

وقفات إيمانية مع النبي ﷺ في حجة الوداع

العقيد حسن صالح المخاترة
مفتي القوات المسلحة الأردنية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فكلما دار الزمان دورته، وأقبل ذو الحجة، اتجهت أنظار المسلمين والمحبين في كل مكان في هذا العالم شوقاً وحباً إلى بيت الله الحرام؛ لأداء فريضة الحج، تلك الفريضة التي جعلها الله تعالى ركناً من أركان الإسلام، فأوجبها على من استطاع إليه سبيلاً، فالحج ركن مهم من أركان الإسلام، وقربة من أعظم القربات إلى الله رب العالمين، وهو سياحة المسلم السنوية، ورحلته المقدسة إلى بيت الله الحرام، يعيش فيها المسلم أعظم لحظات عمره وأهناها، ويتنسم فيها هوى طاعة الله تعالى ومحبته، ويتفيأ ظلال العبودية لله تعالى وحده لا شريك له، ومن هنا فقد فرض الله تعالى الحج على كل مؤمن ومؤمنة يستطيع الذهاب إلى البيت الحرام أن يشدّ الرحال إليه ؛ فزيارته فريضة على كل مسلم، والحج إليه واجب على كل مؤمن قادر، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران،٩٧).

وهذا البيت الذي دعانا الله تعالى لزيارته هو أقدم بيت في الدنيا، وأسبق بنيانٍ أسس على تقوى من الله ورضوان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران، ٩٦)، والله إذ فرض على عباده الحج، ودعاهم إلى ضيافته، فقد وعد عباده ممن يلبون هذا النداء الرباني العظيم بعظيم الأجر والثواب؛ فإن إكرام الضيف من شيم الكرماء، والله أكرم الأكرمين يمنُّ على عباده بالخير، ويُثيب عليه الأجر الجزيل، فالحجاج والعمّار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن سألوه أعطاهم، ومن أفضل ما يسأله الحاج ويرجوه من خالقه عز وجل مغفرة الذنوب، وقد وعدهم الله بإجابة ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» .

ولما كان أجر الحج لا يتحصل أبداً إلا بإخلاص النية لله جل وعلا، وأداء هذه الفريضة كما أمر الله ورسوله، فقد كان الواجب على كل مسلم أراد الحج أن يتبع أمر النبي ﷺ حيث قال: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لا أحج بعد حجتي هذه» ، فكان من رحمة الله تعالى بعباده أن نبينا ﷺ حين حج إلى بيت الله الحرام في آخر عمره حجة الوداع شهد معه هذه الفريضة صحابة كثر، ائتموا به وساروا على هديه واقتدوا به، ونقلوا لنا حجته « كأننا نشهدها معهم، ومن هؤلاء الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ، الذي نقل لنا حجته » في حديث طويل ، اشتمل على فوائد وإشارات عظيمة.

إن كل منسك من مناسك الحج ، وكل محطة من محطاته تذكرنا بأمر الآخرة، فمنذ استعداد المسلم وتحضيره لرحلة الحج يتذكر استعداده لمغادرة هذه الدنيا، وحين يلبس ثياب الإحرام يتذكر الكفن الذي يلبسه بعد الموت، وما وقوفه بعرفة إلا إشارة له بيوم البعث، وما الرمي إلا تأكيد على قطع كل صلة بالشيطان وأعوانه، وهكذا بقية المناسك، إنها الرحلة التي تجعل المسلم يرى مشاهد اليوم الآخر بعين الدنيا، لذا فإن المسلم في رحلته لأداء منسك الحج في مثل هذه المواسم المباركة التي تتعدّد فيها الفضائل والخيرات يجد نفسه أمام أعمال عديدة مباركة، فيستلهم منها معاني ربانية

ووقفات إيمانية، منها:

* الوقفة الأولى: الخروج إلى الحج: قال جابر ـ رضي الله عنه ـ : «إنَّ رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذَّن في الناس في العاشرة: أنَّ رسولَ الله حاجٌّ. فقدم المدينةَ بشرٌ كثير، كلهم يلتمس أنْ يأتم برسول الله، ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه»:

إن الصحابة خير الناس بعد الأنبياء والرسل، وتتبدى أفضليتهم بما وقر في قلوبهم من إيمان، وبحرصهم على ملازمة النبي ﷺ والتعلم منه، والتزامهم بطاعته وامتثال أوامره، فبهذا سادوا، ففي هذا الحديث النبوي الشريف نرى كيف هب الصحابة الكرام، كلهم يريد أن ينال شرف صحبة النبي ﷺ في هذه الرحلة، وأي رحلة؟ إنها رحلة مغفرة الذنوب، رحلة في طريق الله والدار الآخرة، وفيه دليل على حرص الصحابة على العلم، وتتبع سنة النبي ﷺ والتَّأسِّي به.

* الوقفة الثانية: الإهلال بالحج: قال جابر ـــ رضي الله عنه ـــ : «فَأَهَلَّ بالتوحيد: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، وَأَهَلَّ الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يَرُدَّ رسولُ الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولَزِمَ رسولُ الله تلبيتَه، لسنا ننوي إلا الحجَّ، لسنا نعرف العمرة»:

الإهلال هو رفع الصوت بالتلبية، وهو يظهر اعتزاز المسلم بدينه، وصدحه بالتوحيد لربه سبحانه وتعالى، لذا اختار النبي ﷺ هذه التلبية التي تشتمل على توحيد الله ، والبراءة من الشرك، والانسلاخ من كل ما يُعبد من دون الله، والمتأمل في هذه التلبية يرى أنها لب الإسلام، فهي التوحيد الخالص العظيم، وهذا ما جعل جابراً يقول: «فأهلّ بالتوحيد».

* الوقفة الثالثة: استلام الركن: قال جابر: «حتى إذا أتينا البيتَ معه استلم الركن، فرَمَل ثلاثاً ومشى أربعاً»:

إن أهم ما يميز عبادة الحج دلالتها في جميع أفعالها على خضوع واستسلام المؤمن

لربه سبحانه، وهذا المعنى يلاحظه المؤمن وهو يمارس أعمال الحج، ويبدأ هذا المعنى مع أول خطوة من خطوات الحج، وهي القصد إلى بيت الله العتيق، فقصد المؤمن إلى بيت ربه رغم بُعْد المسافة يدل على استسلامه لأمره سبحانه، كما قال تعالى:﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج: ٢٧).

إن الركن إذا أطلق في الأحاديث النبوية الشريفة ، فإنما هو ركن الحجر الأسود، ذلك الحجر الذي نزل من الجنة أبيض اللون، فسودته خطايا بني آدم، فهو أثر عظيم يذكر المسلمين ببيتهم الأول، الجنة التي كانوا فيها قبل النزول إلى الأرض-نزول آدم عليه السلام-، فترتقي نفوسهم ، وتشتاق أرواحهم لجنة الخلد، لذا كان من السنة للحاج استلام الحجر الأسود عند البدء بالطَّواف، فقبل الطواف يسن تقبيل الحجر الأسود واستلامه، وحين نبحث عن الحكمة من ذلك، نجد أن العلماء حين أرادوا تلمس الحِكَم من أفعال الحج كلها في مواعظهم كان أعظم حكمة للحج تحقيق الاستسلام الكامل لله رب العالمين، ويعبر عن ذلك قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حينما قَبّل الحجر الأسود اقتداءً بسنة حبيبه محمد ﷺ قال كلمته المشهورة: «وَاللهَّ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

وبعد الوصول إلى المسجد الحرام يبدأ الحاج بالطواف، والطواف هو حركة استسلام كونية يشترك فيها كل مخلوق، فقد دلّ العلم الحديث على أن كل الكائنات من الذرة إلى المجرة تدور في أفلاكها، ويصدق هذا قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء، ٣٣)، ولا شك أن حركة الدوران هذه تدل على خضوع الكائنات لرب البريات سبحانه وتعالى، فينسجم طواف المؤمنين مع هذه الكائنات، قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى

ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾(الحج، ١٨)، وهنا لفتة عجيبة في الآية الكريمة، وهي أن الآية قررت أن كل الكائنات خاضعة لربها، إلا ما كان من بني آدم، ولذا قال تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [الحج: ١٨]، ولم يقل جل ذكره: (والناس)، وفي هذا دلالة على أن الذي يزهد في الحج ، ولا يذهب إلى بيت الله العتيق هو شاذ عن نظام هذا الكون المستسلم كله لرب العزة سبحانه.

* الوقفة الرابعة: الصلاة في المقام: قال جابر ـ رضي الله عنه ـ: «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السَّلام فقرأ:﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾ (البقرة، ١٢٥)، فجعل المقام بينه وبين البيت، يقرأ في الركعتين:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص، ١)، و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون، ١):

مقام إبراهيم هو ذلك الحَجَر الذي كان نبينا إبراهيم عليه السَّلام يقف عليه وهو يبني الكعبة حين أمره الله ببنائها، ففي صحيح البخاري من حديث النبي ﷺ: «فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ، فيتذكر المسلم حين يصل إلى المقام نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي دعا قومه إلى التوحيد، وكيف صبر وتحمل الأذى في سبيل الله ونصر الدين، ولأجل توكيد توحيد الله تعالى والبراءة من الشرك يسن صلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم، يَجعل المقام بينه وبين الكعبة، ويقرأ في الركعة الأولى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون: ١)، وفي الثانية:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص، ١)، وهنا تتجلى عظمة الإسلام القائم على لا إله إلا الله ونبذ ما سواه.

* الوقفة الخامسة: السعي بن الصفا والمروة: قال جابر: «ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصَّفا قرأ:﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ (البقرة: ١٥٨)»:

يرتبط السعي بين الصفا والمروة عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهاجر زوجة أبينا إبراهيم، فيتذكر كيف كانت تسعى بجهد ومشقة باحثة عن غوث من طعام أو شراب، فقد تركت ابنها إسماعيل عند الكعبة، وكرهت أن تنظر إليه يموت من الجوع والعطش، فكانت تَمشي بين الصفا والمروة، فإذا وصلت الوادي أسرعت في مشيها؛ لأنَّ المكان الذي فيه ولدها يغيب عنها إذا هبطت، وهي قلقة عليه.

* الوقفة السادسة: يوم عرفة: قال جابر: « فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ » حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَاس»:

يوم عرفة هو الوَتر الذي أقسم الله به في قوله:﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾(الفجر،٣)، وهو الشاهد الذي أقسم الله به في قوله: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» (البروج،٣)، وهو يوم عظيم للمسلمين؛ إذ يحتشد المسلمون بهذا العدد في وقت واحد في هذا المكان لله سبحانه وتعالى، فيسمع سبحانه دعاءَ كلّ هؤلاء في وقت واحد على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم، ويعطي كلّ واحد سؤله دون أن تختلط عليه المسائل والحاجات أو تخفى عليه الأصوات والكلمات، فسبحانه هو السميع البصير العلي الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ويوم عرفة هو يوم العتق من النيران، يباهي الله تعالى الملائكة بأهله وعباده في الدنيا يوم الحج الأكبر، فقد قال النبيﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ» ، وهو يوم خوف وخشوع وخشية من الله تعالى، يوم يذلّ فيه المؤمنون لربهم مخبتين، يوم البكاء والانكسار بين يدي الغفور الرحيم، يلحون بخيرِ الدعاء وبخيرِ ما قاله النبيﷺوالنبيّون من قبله:«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، ليعلنوا بذلك صدق ولائهم لله وتوحيدهم إياه،

فلا يدعون غيره ولا يرجون سواه، فيغفر الله تعالى لمن حج بيته المحرم، ويغفر لمن صامه من غير الحجيج السنة التي قبلها والسنة التي بعدها.

* الوقفة السابعة: رمي الجمرات: قال جابر: «ثُمَّ سلك الطريقَ الوُسطى التي تَخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة»:

نحن لو أردنا أن نذكر المعنى المتداول بين الناس عن الرمي، وهو أن الرمي كناية عن بغض الشيطان واحتقاره، لكان ردنا قابلاً للطعن والردّ، ولكن الجواب الأكمل أن نقول: إن عبادة الحج من أولها إلى آخرها إنما هي استسلام لرب العالمين، وخضوع لجلاله وأمره، ولو لم نعقل المعنى، وهنا يُبْتَلى المؤمن فيما لا يعقل معناه من العبادات، وما يعقل معناه منها يجب أن يرد على ما لا يعقل معناه، ولذا مدح الله تعالى سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في صفة الاستسلام لرب العالمين، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١)، وإبراهيم عليه السلام هو الذي سنّ لنا تلك المناسك، وهو من أعظم الأنبياء الذين استسلموا لرب الأرض والسماء، ولذا مدحه ربه فقال: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(البقرة: ١٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾(النجم: ٣٧)، وما أعظم استسلامه لربه سبحانه، هو وولده إسماعيل -عليهما الصلاة والسلام- حينما أمر بذبحه فقال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(الصافات، ١٠٢-١٠٥)، فحياة أبينا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- من أولها إلى آخرها هي استسلام لله رب العالمين، ولعل هذه هي الحكمة التي من أجلها اختار الله سبحانه إياه أن ينادي هو بالحج؛ لأن الحج يدل على استسلام المؤمنين

والمؤمنات لله رب العالمين، ولذا فإن أعظم ما تُعَلّل به أعمال الحج ومنها رمي الجمرات بهذه الكيفية وبذلك العدد إنما هو اختبار المؤمن في طاعته لربه في عبادات قد لا يدرِك معناها غالباً؛ فالمؤمن الحق هو الذي يطيع الله تعالى في كل ما أمره به، دون تشكك ولا تذمر ولا اعتراض، ويكفي أن معظم أعمال الدين موافقة للعقل والفطرة والعلم الحديث، ولو أن الله تعالى جعل العكس لتردد كثير من الناس في الإيمان، ولكن رحمة الله تعالى كانت سابقة.

* الوقفة الثامنة: يوم العيد: قال جابر:«ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: (انْزِعُوا، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ معكم)، فناولوه دلواً فشرب منه»:

يوم العيد هو يوم النحر، يوم الثجّ والعجّ، يوم الفرح بطاعة الله تعالى، يحرص المسلم فيه على شهود صلاة العيد مع المسلمين، والتكبير من فجر يوم التاسع إلى آخر أيام التشريق، ويتجمّل بأبهى زينة وأفضل حله، ويذبح فيه أضحيته ويأكل منها، أما الحجيج فلهم شأن آخر، فينفرون من مزدلفة إلى بيت الله الحرام فيطوفون طواف الإفاضة بالكعبة المشرفة ويذبحون هديهم تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى، ويرمون جمرة العقبة الصغرى، ويحلقون رؤوسهم، فيتحللون التحلل الأصغر، ويتبعون باقي الجمرات الكبرى في باقي أيام العيد، ويتوجهون بالشكر والحمد لله سبحانه وتعالى على ما أنعم عليهم من أداء فريضة الحج، تائبين إلى الله تعالى توبة نصوحاً، سائلين الله أن يغفر لهم سيئاتهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

وخلاصة الأمر أن عبادة الحج إنما هي خضوع واستسلام لله رب العالمين، ومن تقبلها بجميع أفعالها بطيب نفس، وتحمَّل مشاقها دون تذمم، دلّ ذلك على كمال إيمانه وصدق يقينه.

والحمد لله رب العالمين

تنزيل نداء:(أيها الناس) في حجة الوداع على رسالة عمان

الأستاذ إسماعيل فواز الخطبا

مساعد الأمين العام لشؤون الدعوة والتوجيه الإسلامي
مدير الوعظ والإرشاد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، النبي العربي الهاشمي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين،أما بعد:

فقد خطب رسول الله ﷺ خطبة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، وهذا نصها: «الحمدُ لله نحمدُهُ وَنَسْتَعِينُه، ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَتُوبُ إليه، ونَعُوذُ بالله مِنْ شُرورِ أنْفُسِنا ومِنْ سيِّئآتِ أعْمَالِنَا مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضَلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ. وأشهد ألا إله إلاّ الله وحْده لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أوصيكُم عبادَ الله بتقوى الله، وأحثّكم على طاعته! وأستفتح بالذي هو خير. أَمَّا بعد:

أيّهَا النّاس، اسْمَعُوا منّي أُبّينْ لَكُمْ، فَإنّيَ لاَ أَدْرِي، لعَليّ لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامي هَذَا، في مَوْقِفي هذا.

أَيُهَا النَّاس، إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَليكُمْ حَرَامٌ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في شَهْرِ كُمْ هَذَا في بَلَدِكُم هَذَا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانةٌ ، فليؤُدِّها إلى مَنْ ائْتمَنَهُ عَلَيها، وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وقضى الله أنه لا ربا، وإن

ربا عمي العباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم عامر ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قَوَدٌ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ ﴾.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض و﴿ إِنَ عِدَّةَ الشهور عند اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً ﴾، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان.

أيها الناس: إن لِنسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حقاً، ولَكُمْ عَلَيْهِنّ حقّ، لَكُمْ عَلَيْهِنّ ألا يُوطِئنَ فُرُشَكُمْ غيرَكم وَلا يُدْخِلْنَ أحَداً تكرَهُونَهُ بيوتَكُمْ، ولا يأتينَ بِفَاحِشَة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي.

أَيهَا النّاسُ: إنّما المُؤمِنُونَ إخْوةٌ، فَلاَ يَحِلُّ لامرِئٍ مَالُ أَخيهِ إلاّ عَنْ طيبِ نفْسٍ منهُ، أَلاَ هَلْ بلّغْتُ، اللّهُم اشْهَدْ، فلا تَرْجِعُنّ بَعْدِي كُفاراً يَضرِبُ بَعْضُكُمْ رقابَ بَعْض فَإنّي قَدْ تَركْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذتمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، كِتَابَ اللهِ وَ سُنَّة نَبيّه، أَلاَ هَلْ بلّغتُ، اللّهمّ اشْهَدْ.

أيها النّاسُ: إن رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وإنّ أَبَاكُمْ واحِدٌ، كُلكُّمْ لآدمَ وآدمُ من تُراب، إن أَكرمُكُمْ

عنـدَ الله أتْقَاكُـمْ وليـس لعـربيّ فَضْـلٌ عـلى عجمـيّ إلاّ بالتّقْـوىَ، أَلاَ هَـلْ بلَّغْـتُ، اللّهُـمّ اشـهد« قَالُـوا: نَعَـمْ قَـال: فلْيُبَلِّـغِ الشـاهدُ الغائـبَ والسـلامُ عليكـم ورحمـة الله»

جـاءت هـذه الخطبـة العظيمـة قبيـل وفـاة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، وفي أول حجـة لـه صـلى الله عليـه وسـلم وآخـر حجـة، بعـد تمـام وكـمال هـذا الديـن العظيـم، فقـال الله تعـالى: ﴿ ٱلْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِى وَرَضِيـتُ لَكُـمُ ٱلْإِسْـلَٰمَ دِينًـا ﴾ (المائـدة:٣)، لتحمـل في طياتهـا رسـائل إلى الإنسـانية جمعـاء، رسـائل كريمـة رحيمـة تجعـل الشـجر والحجـر قبـل البـشر يشـكر نبـي الرحمـة – عليـه الصـلاة والسـلام – .

إن الناظـر في قـول الله تعـالى : ﴿ ٱلْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِيـنَ ﴾ (الفاتحـة:٢)، لـيرى الربـط المتـين بـين هـذه الآيـة ، وقـول الله تعـالى : ﴿ وَمَـآ أَرْسَـلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِّلْعَٰلَمِيـنَ ﴾ (الانبيـاء:١٠٧)، فالخالـق سـبحانه وتعـالى هـو رب العالمـين الـذي خلقهـم جميعـاً؛ لأن العالمـين هـم كل مـا سـوى الله تعـالى، ورحمـة الله بالعالمـين أرسـل الرسـل والأنبيـاء وأرسـل نبينـا محمـد صـلى الله عليـه وسـلم ، يحمـل معـه رسـالة الرحمـة للإنـس والجـن ، فهـو الرحمـة المهـداة، الحريـص عـلى أمتـه والـرؤوف الرحيـم بهـم، قـال الله تعـالى: ﴿ لَقَـدْ جَاءَكُـمْ رَسُـولٌ مِـنْ أَنفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْـهِ مَـا عَنِتُّـمْ حَرِيـصٌ عَلَيْكُـمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيـمٌ ﴾(التوبـة: ١٢٨).

ومـن رحمتـه ﷺ بالعالمـين عامـة وبالنـاس خاصـة ، خطـب هـذه الخطبـة التـي يجـب أن تتربـع عـلى سـويداء قلـب كل مسـلم في هـذا العـالم، وسـأذكر في مقالتـي هـذه بعضـا مـن هـذه الرسـائل؛ لتكـون لمعـاً لامعـة تنـير السـبيل للسـالكين، خاصـة في هـذا العـصر الـذي تعيـش فيـه الأمـة حالـة لا تحسـد عليهـا في معتركهـا الحضـاري والإنسـاني.

بُدئـت الخطبـة بنـداء (أيهـا النـاس)، وورد هـذا النـداء أكثـر مـن مـرة في ثنايـا خطبتـه العظيمـة صـلى الله عليـه وسـلم ، وبعـد كل نـداء يـأتي كلامـه الشريـف اللطيـف صـلى الله عليـه وسـلم؛ ليأخـذ بمجامـع القلـوب للحجـاج بيـت الله العتيـق، وقبـل عـرض النـداءات السـبعة أقـول:

كلمة (الناس) هي آخر كلمة في القرآن العظيم وهي موجودة في سورة الناس وهي آخر سور القرآن ترتيباً في المصحف الشريف؛ وفي هذا دلالة على أن القرآن الكريم إنما أنزل لهداية الناس.

وهذه الدلالة تسمى بدلالة التعبير بـ (أيها الناس)، دون أيها المؤمنون أو الذين آمنوا أو أصحابي، فدلالة هذه المسميات دلالة تعظيم الشأن، والسرُّ في ذلك أن كلمة (الناس) ينضوي تحتها الجميع الطائع والعاصي، المسلم والفاسق، فهي خطاب للطائعين ليستقيموا، وخطاب للعاصين لينزجروا ويتوبوا.

لقد جاءت الرسالة الاولى: بـ (أيها الناس)، وهذا النداء لكي يرعوا أسماعهم لما سيقوله ﷺ، والتركيز بأنه يودع الحاضرين :(لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا...)، وعندئذ تتعلق القلوب بالكلام، والتعبير بـ (بهذا الموقف أبدا)، فيه إشارة إلى اللقاء في الجنة إن شاء الله تعالى .

الرسالة الثانية: (أيها الناس)، جاء بعدها التعبير المؤكد بـ (إنّ) للدلالة على حرمة الدماء البشرية ، وحرمة النفس ، وحرمة أموالهم وممتلكاتهم، وشبه هذا التحريم بحرمة يوم عرفة.

ليت الناس في هذه الايام يدركون خطر سفك الدماء ونهب الأموال، وأن من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميع ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢).

الرسالة الثالثة: (أيها الناس) ، جاء بعدها كلامٌ يكْلِمُ القلوب ، ويقطع نياطها، فقال عليه الصلاة والسلام : «إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً »: أي: أصابَه اليأْسُ بعدَ انتشارِ الإسلامِ، وعمّ أرجاء المعمورة ، «ولكنْ رضِيَ أنْ يُطاعَ فيما

سِوَى ذلك»، أي: رضي الشيطان بأن يَتَّبِعَه الناس فيما هو أقلُّ مِن الشّرك بالله، وهو «ممَّا تُحاقِرون مِن أعْمالِكم» مِن صَغائِرِ الذُّنوبِ والمعاصي، «فاحْذَروا»، والمعنى: احْذَروا مِن طاعةِ الشيطانِ والوُقوعِ في الصغائرِ؛ لأنَّها لا تَزالُ بالعبد حتى تُهْلِكه وهو لا يَدْري فعليكم بكتاب الله وسنتي ، ففيها خيريّ الدنيا والاخرة.

الرسالة الرابعة: (أيها الناس) ، جاء بعد هذا النداء التحذير من التلاعب بالدين، بتأخير بعض الشهور لمصلحة دنيوية أو شهوة زائلة ، فتكلم صلى الله عليه وسلم عن النسيء في تأخير الشهور وبيّن أنه كفر، قال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ (التوبة: ٣٧)، لأن فيه تحريما لما أحلَّ الله تعالى والتحليل والتحريم لا يكون إلا بما شرعه الله سبحانه وتعالى.

الرسالة الخامسة: (أيها الناس)، خطاب فيه بيان للعلاقة بين النساء والرجال، وإيضاح للأحكام الشرعية المتعلقة بفراش الزوجية، وهو مما يجب أن يفقهه الناس في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن ، وتقطعت أوصال الأزواج والزوجات ، وضاع فيها الأولاد، فالمرأة مكرمة لها من الحقوق وعليها من الواجبات، وقد أمر النبي ﷺ أن نستوصي بالنساء خيرا قال عليه الصلاة والسلام: « استوصوا بالنساء خيراً» أخرجه البخاري، وجاء الإيصاء بالأولاد، قال الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ ﴾ (النساء:١١)، وكان عليه الصلاة والسلام رحيماً بالأولاد فها هو - عليه الصلاة والسلام - يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس، إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها، وجاء الحسن والحسين - رضي الله عنهما- وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس ، فجعلا يمشيان ويعثران، فنزل النبي ﷺ من المنبر فحملهما حتى وضعهما بين يديه.

الرسالة السادسة: (أيها الناس)، بعد النداءات الخمسة جاء النداء السادس: (فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا

بعدي كتاب الله وسنة نبيه)،

نعم هما الوصيان: (القرآن الكريم والسنة النبوية)، فعن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (تركتُ فيكم أيُّها الناس، ما إنِ اعتصمتم به، فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّها) أخرجه الحاكم.

الرسالة السابعة: (أيها الناس) ،هذه الرسالة السابعة مسك الختام قال صلى الله عليه وسلم : (اسمعوا قولي واعقلوه، فتكلم فيها عن شأن الأخوة، فنهاهم عن الظلم، وختم صلى الله عليه وسلم بقوله : (اللهم هل بلغت) ،قال ابن اسحاق: فذكر لي أن الناس قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ : «اللهمّ فاشهد».

إن الناظر في خطبة حجة الوداع ورسالة عمان والتي صيغت بثماني صفحات كبيان مفصل أصدره صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله عشية السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٢٥هـ الموافق التاسع من تشرين الثاني لعام ٢٠٠٤م في العاصمة الحبيبة عمان من مسجد الهاشميين في منطقة تلاع العلي في ليلة القدر، ليلة نزول القرآن؛ ليرى الترابط الكبير بين المعاني العظيمة الكريمة المشتركة التي حملته كلتاهما من توجيهات ونداءات ، وما فيهما بلاغ وبيان للناس كافة، وأن رسالة الإسلام الواحدة عظيمة في مبناها ومعناها، فهي رسالة هداية وصلاح وحياة وعدل ومساواة في كل مناحي الحياة، وهذا التناغم قرر مبدأ التعامل مع الآخرين من خلال صيانة حقوقهم ،وحفظ كرامتهم.

لقد حملت هذه الرسالة العظيمة بين طياتها معان ثرة فياضة، وهنا نلحظ ونحن نتحدث عن النداء في خطبة الوداع بـ (أيها الناس) ، والنداء التي بدئت به رسالة عمان، «هذا بيان للناس، لإخوتنا في ديار الإسلام، وفي أرجاء العالم، تعتز عمّان، عاصمة المملكة الأردنيّة الهاشميّة، بأن يصدر منها في شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان، نصارح فيه الأمّة...»

لنرى أن هنالك ترابطا وثيقا بينهما ، وهذا فيه دلالة واضحة أن رسالة عمان هي رسالة إلى الناس كافة في ديار الاسلام ولكل إنسان في أصقاع المعمورة ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨).

جاءت لتعريفهم برسالة الإسلام السمحة التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها تنشر الرحمة والعدل بين الناس جميعاً؛ ليعيشوا بسلام وآمان واطمئنان.

لقد حملت رسالة عمان في مضامينها خطاباً عاماً يذكر الإنسان بأنه أخ للإنسان؛ لأن سيدنا آدم – عليه السلام – هو أب لكل إنسان خلقه الله على وجه هذه الأرض، وهذه إشارة واضحة للدعوة لأخوة انسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك.

وما دام الإنسان بطبعه مدني كما قال ابن خلدون – رحمه الله تعالى – ، فإن مدنية الإنسان تقتضي أن يتعامل مع أخيه الإنسان على أساس من المودة والرحمة.

نعم، انطلقت رسالة عمان بهذا النداء العظيم من المملكة الأردنية الهاشمية ،والتي تتميز بأنها أرض مباركة بنص التنزيل، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١)

وأكرمنا الله تعالى بأسرة هاشمية ضاربة الجذور في التاريخ ، وهي امتداد للنسب النبوي الطاهر، الذين قال بحقهم ربنا تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأحزاب:٣٣)، فكانت دعوتهم الى انتهاج الوسطية والاعتدال اقتداءً بجدهم المصطفى – عليه الصلاة والسلام – وهذا ما تبناها الباني جلالة الملك الحسين – طيب الله ثراه – ثم واصل المعزز بعده جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله هذا النهج القويم بكل عزمٍ واصرار.

جاء هذا النداء لبيان هدف الإسلام لتحقيق الرحمة و الخير للناس أجمعين.

لقد جاء حسن الاستهلال برسالة عمان ، بما يحفّز القارئ ليقرأ هذه الرسالة التي

تنبع حكمة وبصيرة وفصل الخطاب في التعريف برسالة هذا الدين العظيم ، جاءت هذه الرسالة من عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية التي أكرمها الله تعالى بالأمن والآمان وجعلها واحة أمن واستقرار ولله الحمد والمنّة.

لقد بدأت الرسالة بقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣)، هذا النداء العام لجميع الناس لتعريفهم بسر من الأسرار الربانية في خلقهم من ذكرٍ وأنثى، فخاطبت الناس بنداء (يا أيها...)، لتنبيه الجميع بما سيخبرنا به المولى عز وجل من توجيه وتذكير، وهذا الإخبار فيه تنبيه أيضاً من الله عز وجل؛ ليتذكر كل واحد أنه مخلوق خلقه الله تعالى؛ لمقصدٍ وغاية وليس عبثاً في هذه الحياة الدنيا.

فالغاية من الخلق كما جاء بعد هذا النداء العظيم ، لبيان أن الاختلاف بين الشعوب والقبائل لا يقف حائلا للتعارف الجامع بينهما على المودة والرحمة ونبذ التدابر والتخاصم؛ لأن هذا يخالف التعارف المبني على الود والمحبة والاحترام .

جاءت رسالة عمان بهذا النداء؛ لأنها تحمل خطاباً عاماً للناس كل النّاس ، فالكلام ليس موجها للمسلمين فحسب؛ وإنما للناس كافة ، وهذا المشترك العظيم في هذين النداءين ليدلان دلالة واضحة على عالمية رسالة الإسلام لدعوة الناس الى السلام العالمي والعيش المشترك.

حملت رسالة عمان كثير من الرسائل والتوجيهات التي تدعو الى احترام إنسانية الإنسان، وصون كرامته وحريته ، وإلى البعد عن الفساد والإفساد في الارض، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ (الأعراف:٥٦).

والحق أن أي إنسان يقرأ مقدمة الرسالة وخاتمتها يدرك أنها رسالة ينبغي العناية بها، لأنها كنزٌ في معانيها الكامنة في ألفاظها فيعم نفعها الناس أجمعين.

لقد أبدعت رسالة عمان بعبارة (هذه الرسالة السمحة) ، فقد أعطت القارئ الوصف الحقيقي لهذه الرسالة، فلولا المسامحة لما دخل الناس في الإسلام ؛ لأنها رسالة ترفض الغلو والتطرف، وكل ما من شأنه أن يكون صعباً على النفوس، ولذلك كان التأثير العملي في السلوك أقوى من التأثير القولي في الكلام.

لقد جاء في الرسالة بيان للقواعد الناظمة للسلوك الإنساني بكل أبعاده، وبشر بمبادئ وقيم سامية تحقّق خير الإنسانيّة، وأنّ النّاس متساوون في الحقوق والواجبات، والسلام، والعدل، وتحقيق الأمن الشامل والتكافل الاجتماعي، وحسن الجوار، والحفاظ على الأموال والممتلكات، والوفاء بالعهود، وغيرها وهي مبادئ وقيم تؤلف بمجموعها قواسم مشتركة بين أتباع الديانات وفئات البشر جميعاً.

فإذا تحققت هذه الركائز الأخلاقية في حياة الفرد والمجتمع أضحى الجوار محترماً ، وانقشعت الأنانية من حياة الناس ، وأصبح الحفاظ على الأموال والممتلكات، والوفاء بالعهود، وغيرها من المبادئ السامية التي لا يفرط بها أحد، وهو ما انطلقت به حقيقة رسالة عمان الحكيمة لتحقيقه في حياة المسلمين خاصة والناس عامة.

جاءت رسالة عمان ببيان منهج اللين واللطف في الدعوة ، قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾(آل عمران:١٥٩)، وهذه صفة عظيمة من صفات دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للناس؛ لنتأسى به ﷺ في كل زمان وخاصة في عصرنا ، عصر التقنيات والتحول الرقمي ومنصات التواصل الاجتماعي.

وقد بيّنت الرسالة أيضاً هدف الإسلام ورسالته وهو تحقيق الرّحمة والخير للناس أجمعين، الرحمة العظيمة الدائمة التي لا تنفد، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ، وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» حديث صحيح.

نعم، لم يُرسلْ رسولُ الله ﷺ إلاّ رحمة للعالمين، والعالمون: هم كل ما سوى الله تعالى، هو صلى الله عليه وسلم رحمة لعالم الإنس والجنّ.

لقد حثت الرسالة على عظمة الإسلام، دين الهداية والإصلاح، دين الحياة والأحياء، دين العدل والمساواة في كل مناحي الحياة، ومن صور العدل أن الإسلام دعا إلى معاملة المخالف له بالعدل والإنصاف، والتسامح والعفو اللذين يعبران عن سمو النفس ورقيها.

هذا غيض من فيض من بركات هذه الرسالة ، ومدى ارتباطها الوثيق بالقواسم المشتركة بالإنسانية والعالمية والقيم النبيلة والمبادئ السامية، مع خطبة حجة الوداع العظيمة، لعلها تكون خارطة طريق لكل انسان يتطلع الى العيش المشترك بسلام وأمان على وجه هذه الارض .

والحمد لله رب العالمين

الذكر والشكر في آيات الحج وبناء الشخصية الإيمانية للفرد والأمة

الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الكيلاني

عميد كلية الشريعة-الجامعة الأردنية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين،وبعد:

فإذا كان الحج في الجاهلية قد اقترن بالعديد من الطقوس والعادات الفاسدة التي كان يمارس فيها أهل الجاهلية الشرك والفساد ، ويفتخرون فيها بالتبذير للأموال والتضييع للطاقات والتعطيل للموارد والثروات ، فإن الحج في ظل الإسلام قد غدا مدرسة إيمانية وأخلاقية يتربى فيها المؤمنون على معاني العقيدة الصافية ، وعلى قيم الذكر والشكر والطاعة لله سبحانه وتعالى والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل إقامة الدين وشعائره .

ففي فريضة الحج يتربى المؤمنون على إقامة معاني التوحيد الخالص لله سبحانه ، والبراءة من كل أشكال الشرك ومظاهره وصوره ؛ حيث إن البلد الأمين الذي تقام فيه هذه العبادة العظيمة هو عاصمة التوحيد في العالم التي أسِّست من أول يوم ؛ لتكون حاضرة للمسجد الحرام ؛ وعنوانا للعبودية والتوحيد لله سبحانه ، وهذا ما بينه القرآن الكريم في تنبيهه لتاريخ بيت الله الحرام ، وأنه أسّس من أول يوم لتتجلى فيه العبادة الخالصة لله ، وليكون الحاضن الأول للمؤمنين والموحدين لله سبحانه تعالى :﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ

ٱلسُّـــجُودِ ﴾(الحج ،٢٦).

قـال ابـن كثـير – رحمـه الله – : « هـذا فيـه تقريـع وتوبيـخ لمـن عبـد غـير الله، وأشرك بـه مـن قريـش في البقعـة التـي أسسّـتْ مـن أول يـوم عـلى توحيـد الله وعبادتـه وحـده لا شريـك لـه، فذكـر تعـالى أنـه بَـوأ إبراهيـم مـكانَ البيـت، أي: أرشـده إليـه، وسـلمه لـه، وأذن لـه في بنائـه.»( )

ونجـد تأكيـد القـرآن الكريـم عـلى معنـى التوحيد في الحـج في بيانـه للمقصوديـن بهـذه العبادة، وأنهـم الحنفـاء لله وسـبحانه الموحـدون لـه والمنزهـون لـه عـن كل نـدّ أو شريـك ، قـال الله عـز وجـل :﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّـاسِ بِٱلْحَـجِّ يَأْتُـوكَ رِجَـالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِـرٍ يَأْتِيـنَ مِـن كُلِّ فَـجٍّ عَمِيـقٍ ﴾ (الحـج، ٢٧)ثـم بـيّن سـبحانه أحـوال وصفـات أولئـك المقصوديـن بهـذا النـداء العظيـم فقـال :﴿ حُنَفَـآءَ لِلَّهِ غَيْـرَ مُشْـرِكِينَ بِـهِۦ ۚ وَمَـن يُشْـرِكْ بِـٱللَّهِ فَكَأَنَّمَـا خَـرَّ مِـنَ ٱلسَّـمَآءِ فَتَخْطَفُـهُ ٱلطَّيْـرُ أَوْ تَهْـوِى بِـهِ ٱلرِّيـحُ فِى مَـكَانٍ سَـحِيقٍ ﴾(الحج، ٣١) وقولـه ﴿ حُنَفَـآءَ ﴾ جمـع حنيـف ، وهـو المائـل عـن الأديـان الباطلـة إلى الديـن الحـق والمعنـى : «مـادام الأمـر كـما ذكـرت لكـم ، فاجتنبـوا – أيهـا النـاس عبـادة الأوثـان أو تعظيمهـا ، واجتنبـوا – أيضـا – القـول المائـل عـن الحـق ، وليكـن شـأنكم وحالكـم الثبـات عـلى الديـن الحـق ، وعـلى إخـلاص العبـادة لله – تعـالى – الـذى خلقكـم ، وخلـق كل شـىء .» ( )

وتتجـلى معـاني التوحيـد الخالـص لله سـبحانه في فريضـة الحـج مـن خـلال المناسـك المختلفـة لهـذه الفريضـة العظيمـة ، ففـي التلبيـة التـي هـي شـعار الحـج : توحيـد لله وإقـرار واعـتراف بـأن القصـد والغايـة هـي امتثـال أمـر الله وطاعتـه وعبادتـه ، كـما أن فيهـا تصريحـا بنبـذ الـشرك، ورفضـا لعبـادة كل مـا سـوى الله عـز وجـل مـن حجـر أو شـجر أو كوكـب أو حيـوان أو إنسـان .

وفي الطـواف والسـعي والوقـوف بعرفـة والإفاضـة إلى مزدلفـة ورمـي الجمـرات بمنـى تحقيـق لمعنـى العبـادة والطاعـة والتوحيـد الخالـص لله تعـالى .

وفي الذبائح التي تؤدى في أيام الحج من هدايا وأضاح تأكيد على معاني التوحيد أيضا ، وهذا ما نبهت إليه نفس الآيات التي تحدثت عن هذا النسك في قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ الحج / (٣٤)

حيث ربطت الآية الكريمة بين أداء النسك وبين إقامة التوحيد، (منسكا) (فإلهكم إله واحد)، وقد أشار القرطبي إلى وجه العلاقة فقال :« فأمر الله تعالى عند الذبح بذكره ، وأن يكون الذبح له ، لأنه رازق ذلك ، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأمم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالإله واحد لجميعكم ، فكذلك الأمر في الذبيحة إنما ينبغي أن تخلص له .»( )

وإذا كان في الهدي والأضحية تعزيز لمعاني التوحيد الخالص والإيمان الصادق في نفس المؤمن وقلبه فإن فيهما أيضا تربية على الذكر الدائم لله تعالى ،وإن من اللافت للنظر في النصوص والأحكام المتعلقة بالحج والعمرة الإلحاح المتكرر على ذكر الله في كافة مراحلهما ومناسكهما،( ) ففي سورة البقرة:﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة، ١٩٨ -١٩٩)، ثم قال« واذكروا الله في أيام معدودات...» (البقرة ، ٢٠٠)، وفي سورة الحج نقرأ ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ (الحج ، ٢٨)، وعندما تحدث عن إراقة الدماء طاعة لله تعالى كان هذا المقصد العظيم حاضرا وواضحا ، فقال تعالى :﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ ﴾ (الحج ، ٣٤).

وقال تعالى :﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ

كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الحج / ٣٦).

فالأمر بذكر الله تعالى والحث عليه والتذكير به هو أمر ملازم لكل أعمال الحج ومحطاته ، ومنها ذكر الله تعالى عند إراقة الدماء في الهدي والأضحية ، وقد نوهت الآيات الكريمة بذكر الله تعالى عند الذبح مرتين : الأولى في قوله تعالى : «فاذكروا اسم الله عليها صواف» ، والثانية في قوله : «كذلك سخرها لكم لتكبروا الله» ، فالذكر في الأولى هو التسمية على الذبيحة ، وفي الثانية التكبير ، وقد كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يجمع بينهما إذا نحر هديه ، فيقول بسم الله ، والله أكبر ، وهذا من فقهه - رضي الله عنه - . ( )

ونبه الزمخشري إلى العلاقة الوثيقة بين إراقة الدماء وبين ذكر الله ، فقال في معنى قوله تعالى ﴿ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾: إن الذكر هنا هو الذكر عند النحر ، فقال «وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله ؛ لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا ، وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه » ( )

هذا ، وإذا كانت مناسك الحج عامة تعمل على صياغة شخصية المسلم الذاكر لله ، فإنها تعمل أيضا على صياغة شخصية المسلم الشاكر لله ، فالذكر والشكر خلقان متلازمان ، حتى إن القرآن الكريم قد قرن بينهما فقال سبحانه :﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(البقرة ، ١٥٢) ، وإنه ليتأكد هذا الاقتران بين الذكر والشكر في نسك الأضحية والهدي ، ففي قوله تعالى :﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٣٦) حيث وجهت الآية في صدرها إلى قيمة الذكر ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ واختتمت توجيها بالتنبيه إلى قيمة الشكر (لعلكم تشكرون) ، قال ابن كثير : وقوله: « كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » : يقول تعالى: من أجل هذا « سَخَّرْنَاهَا لَكُم » أي: ذللناها لكم، أي: جعلناها منقادة

لكم خاضعة، إن شئتم ركبتم، وإن شئتم حلبتم، وإن شئتم ذبحتم» ( )

ولعل هذا هو المعنى الذي راعاه الشارع إذ حضّ وندب إلى الأكل من لحوم الهدايا والأضاحي ( ) حتى يستشعر كلّ من المضحي والمهدي استشعار خاصا لنعمة الله وفضله عليهما ، فيكون هذا أدعى إلى الشكر بعد الشعور ببلوغ النعمة والفضل إليه .

قال النووي – رحمه الله – : «وأجمع العلماء على أن الأكل من هدي التطوع وأضحيته سنة. » ( ) وما يجري على الهدي يجري على الأضحية أيضا ، لذا «فقد اتفق الفقهاء على أنه يستحب للمضحي أن يأكل من أضحيته ، لقوله تعالى : « فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها » ، وهذا وإن كان وأراد في الهدي إلا أن الهدي والأضحية من باب واحد . ولقول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا ضحّى أحدكم فليأكل من أضحيته ويطعم منها غيره ؛ ولأنه ضيف الله عز شأنه في هذه الأيام ، فله أن يأكل من ضيافة الله تعالى . » ( ) .

و قال القرطبي :« في قوله «فَكُلُوا مِنْهَا» أمر معناه الندب عند الجمهور، ويستحب للرجل أن يأكل من هديه وأضحيته وأن يتصدق بالأكثر ، مع تجويزهم الصدقة بالكل وأكل الكل، وشذت طائفة فأوجبت الأكل والإطعام بظاهر الآية، ولقول عليه السلام : «فكلوا وادخروا وتصدقوا». قال الكيا : قوله تعالى : «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا» يدل على أنه لا يجوز بيع جميعه ولا التصدق بجميعه.

وقد أكل النبي صلى الله عليه وسلم وعلي – رضي الله عنه – من الهدي الذي جاء به وشربا من مرقه، وكان عليه السلام قارنا في أصح الأقوال والروايات ؛ فكان هديه على هذا واجبا »( )

ثم بيّن القرطبي ما كانت عليه أحوال العرب في الماضي ، فقال: «وإنما أذن الله سبحانه من الأكل من الهدايا لأجل أن العرب كانت لا ترى أن تأكل من نسكها ، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم .»( )

وفضلا عن التربية على معاني الذكر والشكر ، فإن في إراقة الدماء في يوم النحر وأيام التشريق إحياءً لذكر أبي الأنبياء إبراهيم -عليه السلام- الذي استجاب لأمر الله تعالى في تقديمه ولده قربانا لله تعالى ، ليكون درسا بليغا في الجهاد والتضحية والفداء ، وتربية لإرادة المسلم للاستسلام لأمر الله تعالى والاستجابة لتكاليفه واحكامه وتقديمها على جميع مطالب النفس وشهواتها مهما كانت التكلفة باهظة والثمن غاليا والتضحية كبيرة.

وقد خلد القرآن الكريم هذا المشهد العظيم من مشاهد التضحية والفداء ، وذلك في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(الصافات ، ١٠٣-١١٠) ، ليبقى هذا الحدث العظيم درساً للأجيال المتتابعة تستحضر معانيه وفوائده ودروسه وعبره في كل موسم من مواسم الحج ، وتحيي في كل عصر القيم الأصيلة المتجذرة في تشريع هذا النسك العظيم.

وبهذا ، نجد أثر الإسلام في التحول الكبير الذي أحدثه في مناسك الحج ، فبعد أن كان مظهرا من مظاهر الشرك والخرافة وتضييع الأموال وإهدارها وإحياء قيم الفخر والكبر والرياء والسمعة أصبح في ظل شريعة الإسلام وسيلة لبناء القيم الأصيلة وصياغة الشخصية المسلمة الذاكرة لله والشاكرة لله والمضحية في سبيل الله ، بعد أن تم تخليصها وتنقيتها من كل العوالق الجاهلية التي كانت قد التصقت بها وارتبطت بها قبل الإسلام ، لتصبح في ظل الإسلام عنوانا للتوحيد ، وسببا للشكر ، وباعثا على الذكر ، ووسيلة للتقرب إلى الله وطاعته وعبادته بل والتضحية والفداء في سبيله .

والحمد لله رب العالمين

التلبية شعار عظيم في اللفظ والمعنى

الدكتور محمد يونس الزعبي

مفتي محافظة العاصمة

الحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدوه، وأودع فيهم العقول ليعرفوه، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ليشكروه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ، وعلى من سار على نهجه وأقتفى أثره ليوم الدين، أما بعد:

في هذه الأيام المباركة تشرئب الأعناق، وترنوا الأبصار، وتنجذب القلوب، وتتجه الأبصار إلى تلك البقاع المباركة، التي اختارها الله عز وجل لتكون مكانا لأداء مناسك الحج، حيث قوافل الحجاج، وطلائع وفود الرحمن، تأتي من كل فج عميق تقطع الفيافي والصحاري رغبة وشوقا واستجابة لنداء ربها:﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(الحج ، آية ٢٧) لباسهم واحد، ولسانهم واحد يلهج بـــــ « لبَّيْكَ اللهُمَّ لبَّيكَ، لبَّيك لا شريكَ لك لبَّيك؛ إنَّ الحمْدَ والنِّعمةَ لك والمُلْك، لا شريكَ لك» :

يا ليتني بين الحجيج ملبيا فازوا ضيوف الله بالغفـــران

لبيك ربي بالفؤاد أقولها وجوارحي نطقت بها ولساني

فما معنى التلبية؟ وما أسرارها؟ وما حكمها ؟وما هي أهم الأحكام الشرعية المتعلقة بها ؟

المطلب الأول : معنى التلبية لغة واصطلاحا :

معنى التلبية لغة:« فَهِيَ مِنْ لَبَّى بِمَعْنَى: أَجَابَ(١)»فَلَفْظَةُ: لَبَّيْكَ مُثَنَّاةٌ عَلَى قَوْلِ سِيبَوَيْهِ وَالْجُمْهُورِ، وَتَثْنِيَتُهَا لِلتَّكْثِيرِ: أَيْ إِجَابَةً لَكَ بَعْدَ إِجَابَةٍ، وَلُزُومًا لِطَاعَتِكَ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى لَبَّيْكَ وَاشْتِقَاقِهَا، فَقِيلَ مَعْنَاهَا:

- اتِّجَاهِي وَقَصْدِي إِلَيْكَ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: دَارِي تَلُبُّ دَارَكَ أَيْ تُوَاجِهُهَا.

- مَحَبَّتِي لَكَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمُ: امْرَأَةٌ لَبَّةٌ، إِذَا كَانَتْ مُحِبَّةً لِوَلَدِهَا عَاطِفَةً عَلَيْهِ.

-إِخْلَاصِي لَكَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: حُبٌّ لُبَابٌ، إِذَا كَانَ خَالِصًا مَحْضًا، وَمِنْ ذَلِكَ لُبُّ الطَّعَامِ وَلُبَابُهُ.

- أَنَا مُقِيمٌ عَلَى طَاعَتِكَ، وَإِجَابَتِكَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَبَّ الرَّجُلُ بِالْمَكَانِ، وَأَلَبَّ بِهِ إِذَا أَقَامَ فِيهِ.

- أَيْ: قُرْبًا مِنْكَ، وَطَاعَةً، وَالْإِلْبَابُ: الْقُرْبُ.

- وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ مَعْنَاهُ: أَنَا مُلِبٌّ بَيْنَ يَدَيْكَ أَيْ: خَاضِعٌ.»(٢).

- السمع والطاعة والإقامة على طاعة الله، كما يقال: لبى بالمكان بمعنى أقام فيه، وتكون جواباً للنداء، فإذا ناديت ، وقلت: يا زيد! فإنه يقول: لبيك، أي: سمعت وأطعت وأنا مقيم ومستديم على طاعتك.

-إجابة دعوة إبراهيم - عليه السلام - بالحج إذ أمره الله بالأذان به، ؛ فقد وعده الله أن يأتوه رجالا ، وعلى كل ضامر، وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: (لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت قيل له: أذن في الناس بالحج، قال: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن ، وعلىَّ البلاغ، فنادى إبراهيم: أيها الناس، كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من بين السماء والأرض، ألا ترى الناس يجيئون من أقطار الأرض يلبون) .

قال أهل اللغة: معنى لبيك لبيك: إجابة بعد إجابة، من قولهم: ألب بالمكان، إذا أقام به، فكأنه قال: أنا مقيم على طاعتك(٣) .

-هَـا أَنَـا إِذْ جِئْتُـكَ سَرِيعًـا، هَـا أَنَـا ذَا عِنْـدِكَ، قَـالَ: وَنَـادَى أَعْـرَابِيٌّ غُلَامًـا لَـهُ فَأَبْطَـأَ عَلَيْـهِ فِي الْإِجَابَـةِ ثُـمَّ أَجَـابَ، فَقَـالَ: لَبَّيْـكَ، فَقَـالَ الْأَعْـرَابِيُّ: لَـبَّ عَمُـودٌ جَنْبَيْـكَ، أَيْ لَـزِقَ بِـهِ، قَـالَ الْمُلَبِّـي: هَـا أَنَـا ذَا عِنْـدِكَ فِي الْقُـرْبِ بِالْإِجَابَـةِ(٤)

- والملبـي هـو المستسـلم المنقـاد لغـيره، كـما ينقـاد الـذي لبـب وأخـذ بلُبتـه، والمعنـى: إنّـا مجيبـوك لدعوتـك، مستسـلمون لحكمتـك، مطيعـون لأمـرك مـرة بعـد مـرة لا نـزال عـلى ذلـك) (٥) .

-إنّـه مَأْخُـوذ مِـنْ لَـبَّ الـشَّيْء وَهُـوَ خَالِصـه ، وَمِنْـهُ لَـبَّ الطَّعَـام ، وَلَـبَّ الرَّجُـل عَقْلـه وَقَلْبـه

وَمَعْنَاهُ أَخْلَصْت لُبِّي وَقَلْبِي لَك ، وَجَعَلْت لَك لُبِّي وَخَالِصَتِي.

- إنَّهُ مِنْ قولهم فلان رخي اللبب وفي لب رَخِيّ أَيْ فِي حَال وَاسِعَة مُنْشَرِح الصَّدْر

وَمَعْنَـاهُ إِنِّي مُنْـشَرِح الصَّـدْر مُتَّسِـع الْقَلْـب لِقَبُـولِ دَعْوَتـك وَإِجَابَتِهَـا مُتَوَجِّـه إِلَيْـك بِلَبَـبٍ رَخِـيّ يُوجِـد الْمُحِـبّ إِلَى مَحْبُوبـه لَا بِكُـرْهٍ وَلَا تَكَلُّـف.

- إنـهُ مِـنْ الْإِلْبَـاب ، وَهُـوَ الِاقْـتِرَاب أَيْ: اِقْتِرَابًـا إِلَيْـك بَعْـد اِقْـتِرَاب كَـمَا يَتَقَـرَّب الْمُحِـبّ مـن محبوبه(٦) .

التَّلْبِيَـة اصطلاحًـا: هـي قـولُ الْمُحْـرِم: لبَّيْـكَ اللهُـمَّ لبَّيـكَ، لبَّيـك لا شريـكَ لـك لبَّيـك؛ إنَّ الحمْـدَ والنِّعمـةَ لـك والْمُلْـك، لا شريـكَ لـك.(٧)

فعَـنْ عبـدِ الله بْـنِ عُمَـرَ- رَضِيَ اللهُ عنهـما -، (إنَّ تلبيـةَ رسـولِ الله ﷺ: لبَّيـكَ اللهـمَّ لبَّيـكَ، لبَّيـكَ لا شريـكَ لـك لبَّيـك؛ إنَّ الحمـدَ والنِّعمـةَ لـك والْمُلْـك، لاَ شريـكَ لـك) (٨).

يتضح لنا مما سبق أن التلبية تتضمن معان عظيمة أهمها :

١- اعـتراف بالوحدانيـة، وكذلـك اعـتراف لله تعـالى بالملـك كـما في تلبيـة النبـي ﷺ: «لبيـك اللهـم لبيـك، لبيـك لا شريـك لـك لبيـك، إن الحمـد والنعمـة لـك والملـك لا شريـك لـك» فاعـترف أولا بعـدم الشريـك، وكـرر: لا شريـك لـك مرتـين؛ وسـبب ذلـك مخالفـة تلبيـة

المشركين؛ فإن المشركين كانوا يشركون في تلبيتهم فإنهم كانوا يقولون: لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك(٩)

٢- المحبة فلا يقال لبيك إلا لمن تحبه وتعظمه وهي من قولهم امرأة لبة أي محبة لولدها .

٣-إلتزام دوام العبودية: فهي من الإقامة أي: أنا مقيم على طاعتك. فإن قول المعتمر أو الحاج: لبيك اللهم لبيك، إجابة للطلب أي: أنا مجيب لندائك يا رب، أنا مجيب لكلامك. وتفسر التلبية بأنها: لزوم الشيء والإقامة عليه والتمسك به؛ فكأن الملبي يقول: أنا مقيم على طاعتك يا ربِّ وعلى إجابة دعوتك إقامة بعد إقامة، أنا ملتزم بما أمرتني به، متمسك به لا أحيد عنه ولا أتركه بقية حياتي، وأنا الآن أجبت دعوتك وتكلفت وجئت من مكان بعيد؛ إجابة لما فرضت علي، وأداء لما طلبت مني.

٤- الخضوع والانقياد لله تعالى: فقوله أنا ملب بين يديك أي: خاضع ذليل .

٥- الإخلاص: ولهذا قيل أنها من اللب وهو الخالص.

٦- التقرب: ولهذا قيل أنها من الإلباب وهو التقرب.

٧- شعار الحج وروحه ومقصده بل هي روح العبادات كلها ، والمقصود منها ، ولهذا كانت التلبية مفتاح عبادة الحج التي يدخل فيها بها ، وجعلت علامة للتنقل من ركن إلى آخر فالحاج كلما انتقل من ركن إلى ركن قال لبيك اللهم لبيك ...كما يصلي يقول في انتقاله الله أكبر عند الانتقال من ركن إلى أخر فإذا حَلَّ من نسكه قطعها كما يكون سلام المصلي قاطعا لتكبيره .

٨- إنها متضمنة لمفتاح الجنة ، وباب الإسلام الذي يدخل منه إليه ،وهو كلمة الإخلاص والشهادة لله بأنه واحد لا شريك له(١٠).

٩- تجمع بين جميع العبادات القلبية ، وعبادات الجوارح لما فيها من توحيد وإخلاص وذل و خضوع لله تعالى ، ودخول في النسك.(١١)

١٠-الإقامة على الطاعة والعبادة ، مأخوذ من قولهم: لب الرجل بالمكان ، وألب إذا أقام فيه.

فهذا الرجل الذي أراد النسك قائم من أول الإحرام حتى يتحلل على طاعة الله عز وجل، ولذلك ينهى المحرم عن التلبس بالمعاصي؛ لأنه القائل: لبيك اللهم لبيك، يعني: أنا مقيم على طاعتك، فالذي يقيم على الطاعة كيف تأتي منه المعصية؟ وكيف يتلبس بالمعصية؟ وهو الذي وعد ربه بأنه قائم على طاعته، يعني: لا يأتي إلا طاعة، ولا يفعل إلا معروفاً، فكيف تأتي منه المعصية في حال تلبيته وإحرامه؟ وهذا يبين قوله عليه الصلاة والسلام: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من حجه كيوم ولدته أمه)، والرفث والفسوق، إنما هما خروج عن حد التلبية، وخروج عن معنى التلبية (١٢)

١١- التلبية تعد عهدا بين العبد وربه، فالذي يحج ويلبي كأنه يلتزم ويتعهد ويقول: يا رب، إنني ملتزم بإجابة دعوتك، وإنني ملتزم بالإقامة على طاعتك إقامة بعد إقامة لا تنتهي، وإنني ملتزم يا ربِّ بالاعتراف بأنك وحدك المعبود، ليس لك شريك في عبادتك، وليس لك شريك في ملكك، فالملك لك وحدك، والنعمة منك وحدك، والحمد لك وحدك؛ فمن أجاب نداء الرحمن أنى له ان يجيب نداء الشيطان !

١٢- التلبية تنبيه على إكرام الله تعالى لعباده بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منه سبحانه وتعالى(١٣﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج ، ٢٧).

فـ (لبيك) تعني إننا طائعون لك يا ربنا، مقيمون على طاعتك خالصة لوجهك متواصلة غير منقطعة؛ فنحن نعبدك وحدك ولا نعبد أحداً سواك، ، ولا نطيع في معصيتك أحداً، ، ونحن نتبع شرعك الذي جاء في كتابك، أو بلَّغه لنا رسولك في سنته: نحل ما أحل ، ونحرم ما حرم، في كل شؤوننا وأمورنا، يجدنا الله حيث أمرنا ويفتقدنا

حيث نهانا لنفوز بخيري الدنيا والأخرة.

المطلب الثاني: حكم التلبية:

لا خلاف بين أهل العلم على أن التلبية مشروعة ،ولكنهم اختلفوا هل هي مستحبة أو واجبة، وهل يجب على من تركها عامدا دم؟

ولكن الراجح – والله أعلم – أن التلبية مستحبة(١٤)،وقد استدلوا على ذلك بما يلي:

١ – عن سالم بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ عن أبيه – رَضِيَ اللهُ عنهما –، قال: (سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يُهِلُّ مُلَبِّدًا، يقول: لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيْك، لبَّيْك لا شريكَ لك لبَّيْك، إنَّ الحمْدَ والنِّعمَةَ لك والمُلْك، لا شريكَ لك. لا يزيدُ على هؤلاءِ الكَلِماتِ. وإنَّ عبدَ الله بنَ عُمَرَ رَضِي الله عنهما كان يقول: كان رسولُ الله ﷺ يركَعُ بذي الحُلَيفة ركعتينِ، ثم إذا استوت به النَّاقَةُ قائمةً عند مسجِدِ ذي الحُلَيفة، أهلَّ بهؤلاءِ الكَلِماتِ)(١٥).

٢ – عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ – رَضِيَ اللهُ عنه – أنَّه قال بجَمْعٍ: (سمِعْتُ الذي أُنْزِلَتْ عليه سورةُ البَقَرة، ههنا يقول: لبَّيْك اللهُمَّ لبَّيْك...)(١٦).

وجه الدلالة منهما : أن هذا فعل النبي ﷺ وهو يفيد الاستحباب لا يفيد الوجوب؛ ولأن التلبية ذكر ،فلم تجب في الحج والعمرة كسائر الأذكار فيهما.

المطلب الثالث: وقتها وحكم الزيادة فيها، ورفع الصوت بها، وهل هي بالرفع ام بالكسر؟

ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولا: وقت التلبية:

يستحب ابتداء التلبية من حين الإحرام بالحج والعمرة(١٧) ، واستدلوا بحديث عبدَ الله بن عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عنهما – كان يقول: كان رسولُ الله ﷺ يركَعُ بذي الحُلَيفةِ ركعتينِ، ثم إذا استوَتْ به النَّاقَةُ قائمةً عند مسجِدِ ذي الحُلَيفَةِ، أهَلَّ بهؤلاءِ الكلماتِ(١٨) .

وعن أنسِ بنِ مالكٍ – رَضِيَ اللهُ عنه – قال: (ﷺ بالمدينةِ أربعًا، وبذي الحُلَيفةِ رَكعتينِ،

ثـمَّ بـات حتـى أصبَـحَ بـذي الحُلَيفـة، فلـمَّا رَكِـبَ راحِلَتَـه واسـتَوَتْ بـه، أهـلَّ)(١٩).

وتنتهـي التلبيـة في الحـج عنـد ابتـداء رمـي جمـرة العقبـة يـوم النحـر، لا فـرق في ذلـك بـين القـارن والمفـرد والمتمتـع (٢٠) .

واسـتدلوا بحديـث ابـنِ عَبَّـاسٍ - رَضِيَ اللهُ عنهـما - : (أنَّ النبـيَّ ﷺ أردَفَ الفَضْـلَ، فأخـبَرَ الفَضْـلَ: أنَّـه لم يَـزَلْ يُلَبِّـي حتَّـى رمـى الجَمْـرَةَ)(٢١) ، وتنتهـي التلبيـة في العمـرة بالـشروع بالطـواف لحديـث ابـنِ عبـاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهـما قـال: (يلبِّـي المعتَمِـرُ حتـى يفتتـحَ الطَّـوافَ) (٢٢).

ثانيا: هل تصح الزيادة على التلبية:

قلنـا بـأن لفـظ التلبيـة أن يقـول الحـاج أو المعتمـر:« لبيـك اللهـم لبيـك، لبيـك لا شريـك لـك لبيـك، إن الحمـد والنعمـة لـك والملـك، لا شريـك لـك لبيـك» ويسـن أن يقـف وقفـة خفيفـة عنـد قولـه والملـك ثـم يبتـديء بـــــ (لا شريـك لـك، وأن يكـرر التلبيـة ثلاثـا إذا لبـى)، ويسـن أن لا يزيـد عـلى هـذه الكلـمات ولا ينقـص عنهـا، ولكـن لا تكـره الزيـادة عليهـا (٢٣) لمـا في الصحيحـين أن ابـن عمـر - رضي الله عنهـما - كان يزيد في تلبية رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم :«لبيـك لبيـك وسـعديك والخـير بيديـك والرغبـاء إليـك والعمل(٢٤)،ويسـتحب للملبـي إذا رأى مـا يعجبـه أن يقـول لبيـك إن العيـش عيـش الأخـرة .

ثالثا: حكم رفع الصوت بالتلبية:

يسـتحب للحـاج والمعتمـر أن يرفـع صوتـه بالتلبيـة رفعـا لا يـضر بنفسـه وخاصـة عنـد تغايـر الأحـوال كركـوب ونـزول وصعـود وهبـوط، وقاعـدا ومضطجعـا ومسـتلقيا وراكبـا وماشـيا.....لا فـرق بـين الجنـب والحائـض والنفسـاء وغيرهـم في أصـل الاسـتحباب(٢٥) .ويـدل عـلى ذلـك مـا رواه السَّـائِبِ بـن خـلَّادٍ الأنصـاريِّ - رَضِيَ اللهُ عنـه - أنَّ رسـول الله ﷺ قـال: (أتـاني جبريـلُ صـلى الله عليـه وسـلم فأَمَـرَني أنْ آمُـرَ أصحـابي ومَـن مَعـي أن يرفَعُـوا أصواتَهـم بالتَّلْبِيَـةِ)(٢٦).

والحكمة من رفع الصوت بالتلبية ليستحضروا معناها بألسنتهم وقلوبهم فيسمعها القاصي والداني ويتعلمها الصغير والكبير والرجل والمرأة.

وأما المرأة فتخفض صوتها بحيث تقتصر على سماع نفسها، وذلك لما يخشى من رفع صوتها من حصول الفتنة.

رابعا: هل تقرأ بالفتح أم بالكسر؟

يصح أن تقرأ بالفتح وبالكسر جاء في كتاب نيل الأوطار:« (إِنَّ الْحَمْدَ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ وَبِفَتْحِهَا عَلَى التَّعْلِيلِ. قَالَ فِي الْفَتْحِ: وَالْكَسْرُ أَجْوَدُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ. قَالَ ثَعْلَبٌ: لِأَنَّ مَنْ كَسَرَ جَعَلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَمْدَ لَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمَنْ فَتَحَ قَالَ مَعْنَاهُ لَبَّيْكَ لِهَذَا السَّبَبِ الْخَاصِّ، .....وَنَقَلَ الزَّمَخْشَرِيّ أَنَّ الشَّافِعِيَّ اخْتَارَ الْفَتْحَ وَأَبَا حَنِيفَةَ اخْتَارَ الْكَسْرَ. (٢٧)

وفي الختام نسأل أن يرزقنا زيارة بيته الحرام مكبرين وملبين ومهللين، وأن يقبل من الحجاج حجهم فيقبل الدعوات ويرفع الدرجات ويقيل العثرات ويمسح الذنوب والزلات:

هذي ضيوفك يا إلاهي تبتغي ... عفوا وترجوا سابغ البركات
غصت بهم في حلهم ورحيلهم ... رحب الوهاد وواسع الفلوات
تركوا وراء ظهورهم دنيا الورى ... وأتوك في شوق وفي إخبات
وفدوا إلى أبواب جودك خشعا ... وتزاحموا في مهبط الرحمات
فأقبل إله العرش كل ضراعة ... وأمسح الذنوب وكفر الزلات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الهوامش:

(١) لسان العرب، لابن منظور ج١ ،ص٧٣٠، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ج٥ ،ص ١٩٩.

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن، الشنقيطي ، ج٥ص٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر،ج٣ ص ٤.

(٤) شعب الايمان، البيهقي، ج٥ ص ٤٧٢.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٦/ ١١٥.

(٦) عون المعبود، محمد آبادي، ج ٥ ص١٧٥.

(٧) مغني المحتاج، الخطيب الشربيني ،ج١، ص٧٠١.

(٨) رواه البخاري ومسلم .

(٩) مغني المحتاج، الخطيب الشربيني ،ج١، ص٧٠١.

(١٠) عون المعبود، محمد آبادي، ج٥ ص ١٧٧.

(١١) شرح صحيح مسلم ج٢٥ ،ص ١٠.

(١٢) المرجع السابق نفسه.

(١٣) نيل الاوطار، الشوكاني، ج٤ ص ٣٧٩.

(١٤) مغني المحتاج، الخطيب الشربيني ،ج١، ص٧٠٠ (وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَالثَّانِي وَاجِبَةٌ وَيَجِبُ بِتَرْكِهَا دَمٌ حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ عن بعض الشافعية وحكاه بن قُدَامَةَ عَنْ بَعْضِ الْمَالِكِيَّةِ وَالْخَطَّابِيُّ عَنْ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالثَّالِثُ وَاجِبَةٌ لَكِنْ يَقُومُ مَقَامَهَا فعل يتعلق بالحج قال بن الْمُنْذِرِ قَالَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ إنْ كَبَّرَ أَوْ هَلَّلَ أَوْ سَبَّحَ يَنْوِي بِذَلِكَ الْإِحْرَامَ فَهُوَ مُحْرِمٌ الرَّابِعُ أَنَّهَا رُكْنٌ فِي الْإِحْرَامِ لَا ينعقد بدونها عون المعبود ج٥ ص١٧٩.

(١٥) رواه البخاري ومسلم.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) شرح المقدمة الحضرمية، سعيد باعشن،ص٦٧٩.

(١٨) رواه البخاري ومسلم.

(٢٠) نيل الأوطار، الشوكاني، ص٣٨١.

(٢١) رواه البخاري ومسلم.

(٢٢) رواه الشافعي في ((الأم)) (٣/ ٥٢٩) والبيهقي (٩٦٧٩). جوَّدَ إسنادَه ابنُ حجر في تخريج ((مشكاة المصابيح)) (٣/ ٨١).

(٢٣) مغني المحتاج، الخطيب الشربيني ،ج١، ص٧٠٠.

(٢٤) رواه البخاري ومسلم.

(٢٥) مغني المحتاج، الخطيب الشربيني ،ج١، ص٧٠٠.

(٢٦) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رواه في كتاب الحج باب ما جاء في رفع الصوت بالتلبية، حديث رقم٨٢٩.

(٢٧) نيل الاوطار، الشوكاني ج٤، ص ٣٧٩.

عرفة وعرفات في الكتاب والسنة

د. محمد عواد الفاعوري

الحمد لله الذي عظّم من الأزمان والأماكن بما شرع وأمر، وجعل لسيد الطائفين والعاكفين أعلى المنازل بين البشر، وكتب على عباده من الفرائض والعبادات ما يرتقون بها في المقاصد والأثر، وصلى الله على سيدنا محمد النبي ألأمي سيد الثقلين وآله وصحبه ، ومن سار على هديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ المتأمل بما وردت به شريعة الإسلام، وخير ما نزل من أحكام تقرر بها توجيه الأنام؛ يجد ما جعل له من خلقه من رتبة التقديس ما ليس لسواه من سائر الخلق، ولعلّ مما لا يخفى تعظيم قدره بين الخلق نبينا محمد ﷺ ، فقد بلغ منزلة عند ربنا ما لم يبلغه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب، وكذلك نجد أن لجبريل منزلة خصوص بين عموم الملائكة بما ورد له من ألقاب وأعطي من مهام، ولا يخفى ما لماء زمزم من شرف على سائر المياه ، وما عنيت به من أحكام، ونجد للأزمان من الرفعة كذلك، فليلة القدر خير من ألف شهر، ويوم عرفة أجره بعامين، ويوم عاشوراء بعام كامل ، وأيضاً فإنّ يومي الاثنين والخميس ترفع فيهما الأعمال ، ويندب فيهما الصيام... إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره مما له فضيلة على غيره.

ومما يميز حديثنا عن عرفة وعرفات أنها جمعت شرف المكان والزمان في آنٍ واحد، غير أنّ مزية المكان تقتصر على ارتباط المكان بالزمان حيث لا نجد من يتعبد بذلك المكان

في غير يوم عرفة بخلاف مكة والمدينة وبيت المقدس التي عُرف لها فضيلة المكان دون ارتباطها بالزمان، فبرزت أهمية الحديث عن عرفة وعرفات والوقوف على بعض ما خص الله بها من الآيات، وجاء بنص حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من البينات.

عرفة وعرفات في اللغة:

أصل الكلمة من مادة «عرف»، وهي كما يقول ابن فارس:« العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة، ثم نجده ربط بين أصل الكلمة والمعاني التي وردت بحقها بقوله: والأصل الآخر المعرفة والعرفان.

تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه؛ لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه .

هذا المعنى الذي سبق إيراده هو المشهور في ارتباط المعنى اللغوي بالاستعمال العرفي، ونجد أن من المعاني التي وردت أيضاً ما جاء في حلية الفقهاء:« وقال آخرون: إنما سمي عرفات، من قولك: عرفت المكان: إذا طيبته، فسمي عرفات، لأنه أشرف تلك المواقف وأطيبها، قال الله تعالى في ذكر الجنة: ﴿ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[محمد: ٦]. قال قوم: طيبها ، وقال الرازي:«ومعنى ذلك أن المذنبين لما تابوا في عرفات فقد تخلصوا عن نجاسات الذنوب، ويكتسبون به عند الله تعالى رائحة طيبة» .

يتبين أن المعاني التي يدور حولها لفظا عرفة وعرفات مكاناً وزماناً تدور في تلك السمات الجميلة من سكون وطمأنينة، أو عطر ظهر للناس أريجه بما تجلى لأصحاب ذلك الموقف المهيب الذي ودت أفئدة الناس أن تكون في جنباته أو في ساحاته، وتتعرض لتلك النفحات الإيمانية.

الفرق بين عرفة وعرفات:

لعل المشتهر بين كثير من أهل العلم أن يوم عرفة مقتصر على الزمن الذي يكون

فيه ركن الوقوف بدءا من زوال الشمس إلى الغروب أصالة وإلى الفجر ترخصاً، وأنّ عرفات هو ذلك المكان الذي حدد الشارع صحة الوقوف فيه بحدود عرفها من زار ذلك المكان ووقف فيه، فقد جاء في كتاب معجم الفروق اللغوية قوله: قد عرفت يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، وعرفة قيل: اسم لموقف الحاج ذلك اليوم، وهي اثنا عشر ميلا من مكة، وسمي عرفات أيضا، وهو المذكور في التنزيل، قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾[البقرة: ١٩٨]، وقال النيسابوري: عرفات جمع عرفة، وكلاهما علم للموقف، كأن كل قطعة من تلك الارض عرفة، فسمي مجموع تلك القطع بعرفات، وكذا قال ابن الحاجب في شرح المفصل.

قال الطبرسي: عرفات: اسم للبقعة المعروفة التي يجب الوقوف بها، ويوم عرفة يوم الوقوف بها.

ووافق على ذلك الفيروزآبادي، وهذا القول مبني على إنكار كون عرفة اسما للموقف، وهو قول الفراء ، فيظهر مما سبق أن التفريق بين لفظي عرفة وعرفات هو ما تقتضيه معرفة اللغة إذ إنّ الزيادة والاختلاف في المبنى تدلّ على الاختلاف في المعنى، فيكون لكل لفظ ما يختص به من معنى مختلف عن غيره.

ومن دقيق التشريع والبيان أن ضبط العبادات وتحديد الأماكن والأوقات، قد جعل هناك أوقات ينهى فيها عن الصلاة بين الكراهة والتحريم، وكذا في الصيام؛ ليتعبد المتعبد بما شُرع له فلا عبادة إلا بنص، ونجد أن عرفة قد حُدد ما يصح فيه الوقوف وما يمنع، ومن ذلك حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ عُرَنَةَ وَكُلُّ مُزْدَلِفَةَ موقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ مُحَسِّرٍ .

أسماء يوم عرفة وسبب تسمية عرفات:

للمستقرئ في عادات العرب يجد لهم طريقة تميزت بكونهم إذا اهتموا بشيء أكثروا من أسمائه، كما هو الحال في بعض الكلمات التي تشعر بقيمة ذلك الشيء كالخيل والأسد

وغيرها مما عُرف عنهم، وهكذا الحال بالنسبة لهذا اليوم الذي هو محط أنظار العرب لما للحج من قيمة سامية عندهم، ولذلك نجد أنهم سموا يوم عرفة بعدة أسماء منها: يوم الحج الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [التوبة: ٣]، وهذا الاسم مشترك بين عرفة والنحر، واختلف الصدر الأول من الصحابة والتابعين فيه، فمنهم من قال: إنه عرفة، وسمي بذلك؛ لأنه يحصل فيه الوقوف بعرفات والحج عرفة إذا لو أدركه وفاته سائر مناسك الحج أجزأ عنها الدم، فلهذا السبب سمي بالحج الأكبر.

قال الحسن: سمي به لأنه اجتمع فيه الكفار والمسلمون، ونودي فيه أن لا يحج بعده مشرك، وقال ابن سيرين: إنما سمي به لأنه اجتمع فيه أعياد أهل الملل كلها من اليهود والنصارى وحج المسلمين ، ولم يجتمع قبله ولا بعده، ومنهم من قال: إنه يوم النحر ؛لأنه يقع فيه أكثر مناسك الحج، فأما الوقوف فلا يجب في اليوم بل يجزئ في الليل ،وروي القولان جميعا عن علي وابن عباس ـــ رضي الله عنهم ـــ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وثانيها: الشفع ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ [الفجر: ٣]، وثالثها: الوتر﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾[الفجر:٣]،، ورابعها: الشاهد ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج:٣]، وخامسها: المشهود﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[البروج: ٣] .

أما عن سبب تسمية عرفات بهذا الاسم، فقد وردت أقوال كثيرة في كتب التفسير وأقوال العلماء منها: قول ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ : أن آدم وحواء التقيا بعرفة فعرف أحدهما صاحبه فسمي اليوم عرفة، والموضع عرفات، وذلك أنهما لما أهبطا من الجنة وقع آدم بسر نديب، وحواء بجدة، وإبليس بنيسان، والحية بأصفهان، فلما أمر الله تعالى آدم بالحج لقي حواء بعرفات فتعارفا.

ثانيها: إن آدم علمه جبريل ـ عليه السلام ـــ مناسك الحج، فلما وقف بعرفات قال له: أعرفت؟ قال نعم، فسمي عرفات.

ثالثها: قول علي وابن عباس وعطاء والسدي: سمي الموضع عرفات ؛ لأن إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ عرفها حين رآها بما تقدم من النعت والصفة.

رابعها: إن جبريل ـــ عليه السلام ـــ كان علم إبراهيم ـــ عليه السلام ـ المناسك، وأوصله إلى عرفات، وقال له: أعرفت كيف تطوف وفي أي موضع تقف؟ قال نعم.

خامسها: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وضع ابنه إسماعيل وأمه هاجر بمكة ، ورجع إلى الشام ولم يلتقيا سنين، ثم التقيا يوم عرفة بعرفات.

سادسها: ما ذكرناه من أمر منام إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

سابعها: إن الحجاج يتعارفون فيه بعرفات إذا وقفوا.

ثامنها: إنه تعالى يتعرف فيه إلى الحاج بالمغفرة والرحمة .

فضائل عرفة وعرفات:

ختمت بهذا اليوم شريعة الإسلام، وتمّ للأمة نزول الأحكام، فقد نزلت آخر آية من القرآن في هذا اليوم العظيم، فقد روى البخاري في صحيحة حديث «عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، أن رجلا، من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة» ، فظهر لما لهذا اليوم من فضيلة عظيمة، وتبين القدر الجلي الذي ميزت به أمة الإسلام عن غيرها من الأمم السابقة.

ومن المعلوم أن ركن الحج ركن عظيم، وهذا الركن عبادة مالية وبدنية، وفيه من الأركان والواجبات ما يمكن تداركه حال الفوت باستدراك أو كفارة إلا الوقوف بعرفة، فهو الركن الأصيل الذي بفواته يفوت الحج بالكلية بل ينقلب النسك عمرة ، ويلزمه ذبح شاة والقضاء كما هو مقرر عند الفقهاء ، فبان لنا كم لهذا الركن من رتبة بين

سائر الأركان، وتأكد لنا مقصود حديث نبينا ﷺ إذ يقول: «الحج عرفة ،الحج عرفات من أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر ، فقد أدرك الحج » أو « تم حجه أيام منى ثلاثة أيام ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه »

ثم يجد المتأمل بفضيلة الصيام مما خصت به أيام العام أن لهذا اليوم مضاعفة للأجر فاقت باقي الأيام لمن لم يكن حاجاً، حيث جعل صيامه كفارة لعامين ، ودلّ على ذلك حديث النبي ﷺ إذ يقول: « ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» .

وللدعاء في فضائل الأوقات ما يحث العبد على استثمارها والحرص عليها، غير أن يوم عرفة قد ساد هذه الأوقات بالرتبة والقدر، وفي ذلك جاء قول رسولنا الكريم ﷺ: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

ونقل لنا الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه الأذكار ما يدل على فضيلة أوقات يحرص فيها الحاج على الذكر والدعاء واستمطار الاستجابة والثناء، بما نقله عن الحسن قوله: «وحُكي عن الحسن ـــ رحمه الله ـــ أن الدعاء يُستجاب هنالك في خمسة عشر موضعاً: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي المسعى، وخلف المقام، وفي عرفات، وفي المزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاث، فمحروم مَن لا يَجتهد في الدعاء فيها» .

ثم إنه لما كان للعرب أنفة عن الناس بما في نفوسهم من اختيار ما يميزهم عن الناس جاء في النصوص ليدل على وحدة الحال ، وتساوى القيم في صعيد يجمع الناس عن التجرد من حظ النفس في ردهم إلى أن يكون مع الناس في كل مقام.

جاء في تفسير الطبري ـ رحمه الله ـ قوله:« وعن الربيع قوله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ

أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[البقرة:١٩٩]، قال: كانت قريش وكل ابن أخت وحليف لهم، لا يفيضون مع الناس من عرفات، يقفون في الحرم ولا يخرجون منه، يقولون:« إنما نحن أهل حرم الله ، فلا نخرج من حرمه» ، فدل ذلك على فضيلة المكان وما له من منزلة.

وإنّ من شرف ما يناله أهل ذلك الموقف العظيم هو ما حباهم الله من شرف كبير بين أهل السماء رغم ما يحفهم من نصب وتعب، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً» .

ومن جميل الذكر والبيان ما لزحام مكة في ذلك اليوم أن الله تعالى سمى مكة باسمها الذي يدل على تزاحم الناس وكثرتهم في تلك الأيام والأماكن بذكرها باسم« بكة»، ويدلّ ذلك على بلاغة القرآن وحسن النظم والبيان حيث تجد تغاير الأسماء للشيء الواحد بحسب ما يقتضيه سياق النص ، فقد قال تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا)، وقد اشار بعض علماء التفسير إلى معنى الزحام الذي هو من أعلى المظاهر التي تشاهد في أيام الحج في الطواف والسعي والوقوف بعرفة وغيرها من المشاهد .

ولم يغب ما ورد من بديع ما عاشه أهل الشعر في روحانيات هذا المكان ما سطره أحمد شوقي بقوله:

إلى عَرَفاتِ اللهَ يا خَيرَ زائِرٍ ... عَلَيكَ سَلامُ اللهَ في عَرَفاتِ

وَيَومَ تُوَلّي وُجهَةَ البَيتِ ناضِراً ... وَسيمَ مَجالي البِشرِ وَالقَسَماتِ

عَلى كُلِّ أُفقٍ بِالحِجازِ مَلائِكٌ ... تَزُفُّ تَحايا اللهَ وَالبَرَكاتِ

إِذا حُدِيَت عيسُ المُلوكِ فَإِنَّهُم ... لِعيسِكَ في البَيداءِ خَيرُ حُداةِ

لَدى البابِ جِبريلُ الأَمينُ بِراحِهِ ... رَسائِلُ رَحمانِيَّةُ النَفَحاتِ

وبعد هذا الطواف بين ألفاظ المباني، والسعي بين خفايا المعاني، والوقوف على بعض الحكم والأسرار، فلعلنا حصّلنا بعض ما يحقق المقصود، ويفي بالفائدة لتحقيق المجهود، سائلين المولى حسن القبول، وأن يبلغنا التوفيق بالمأمول إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الهوامش

أسرار يوم النحر وأحكامه وما جاء فيه

فضيلة الشيخ عبد الرحمن عمورة
الواعظ على كرسي الإمام السيوطي في المسجد الحسيني

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً ، وجعل الْبَيْتَ الْعَتِيقَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَأَكْرَمَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا وَتَخْصِينًا وَمَنًّا، وَجَعَلَ زِيَارَتَهُ وَالطَّوَافَ بِهِ حِجَابًا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْعَذَابِ ومجنا، والصلاة على سيدنا محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

فإن الحج مِنْ بَيْنِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ عِبَادَةُ الْعُمْرِ وختام الأمر، وتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(المائدة،٣).

واعلم أن أسرار الحج كثيرة لا يدركها إلا أهل القلوب الصاحية والأرواح الصافية التي عرفت مراد الله في أحكامه ، وأدركت أن الله يريد بتلك المناسك تقريب العبد إلى ربه بالتسليم والتفويض كما أشار النبي ﷺ بقوله:«رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَومَ النَّحْرِ، ويقولُ: لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتي هذِه.» رواه مسلم.

... ولقد حرَصَ الصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عنهم على الاقْتداءِ بالنَّبيِّ - ﷺ - في كلِّ شيءٍ، لا سيَّما العِباداتُ، ومنها فريضةُ الحجِّ، الَّتي تؤخَذُ أرْكانُها وسُننُها وآدابُها من هَدي النَّبيِّ - ﷺ - الَّذي فصَّلَ ما أجمَلَه القرآنُ.

أسرار يوم النحر وذكرياته

ونحن الآن بصدد ذكر أسرار يوم النحر ، وهو اليوم الذي يبدأ بانتهاء يوم عرفة، ويبدأ بطلوع الفجر من اليوم العاشر من ذي الحجة ، وأعماله كثيرة كوقوفهم عند المشعر الحرام ثم الدفع إلى منى لرمي جمرة العقبة، وهي سبع حصيات، وذبح الهدي والحلق وطواف الإفاضة والمبيت بمنى، وهو يوم من أيام الحج ، وهو يوم النحر بركاته عظيمة وخيره جسيم.

ولنبدأ بكلام الإمام النووي - رحمه الله- كما جاء كتاب الإيضاح في بيان مناسك الحج :« وإفاضتهم من عرفات كانفضاضهم من الموقف في يوم القيامة بعد الفصل والقضاء، ولبثهم في مزدلفة ومنى كلبث المذنبين، وانتظارهم لشفاعة الشافعين، ورميهم الجمار تذكرهم بقصة أبيهم إبراهيم - عليه السلام- مع الشيطان الرجيم والتشبه به، والاقتداء بنيهم سيدنا محمد - ﷺ - ، وذبحهم الأضاحي تجديدا لذكرى فداء الله تعالى إسماعيل - عليه السلام - بكبش من الجنة، حينما أراد والده إبراهيم -عليهما السلام- ذبحه امتثالاً لأمر الله تعالى.

أي: لا لمجرد الرؤيا المنامية فقط؛ لأنه لو كان فعل الذبح لمجرد أن إبراهيم -عليه السلام - رأى نفسه وابنه إسماعيل -عليه السلام - في المنام على هيئة الذابح الذي أضطجع ذبيحته ، ومر عليها بسكينه ما صحّ لإبراهيم عليه السلام أن يقدم على فعلة الذبح الخطيرة التي تعد من أكبر الكبائر، ومما يؤيد هذا القول جواب إسماعيل- عليه السلام - الذي أجاب به أباه حينما قصّ عليه أنه رأى في المنام أنه يذبحه ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾، (الصافات: ١٠٢) فإنه يشير إشارة قوية إلى أن تلك الرؤيا كانت مشتملة على أمر، وتكليف بذلك الذبح.

وقول آخر: إن فعل الذبح للرؤيا فقط ؛ لأن رؤيا الأنبياء- عليهم السلام حق ليس فيها شيء من آثار تخليط الشيطان وتلبيسه؛لأن الله تعالى عصمهم في جميع أحوالهم من كيد الشيطان، وحصنهم من وساوسه.

فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى أمر إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ بذبح إسماعيل عليه السلام؟

أجيب: بأن الخليل - عليه السلام - سأل ربه أن يهب له ولداً من الصالحين ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(الصافات: ١٠٠) ، فأجاب الله دعاءه، ووهبه الولد على كبره وشيخوخته، ففرح به، وأخذ الولد منزلته من قلبه، فأراد الله أن يحفظ على إبراهيم مقام الخلة الخطيرة الشأن، وأن يطهر قلبه من التعلق بغيره تعالى ، وأن يظهر للناس بقاءه على مقام الخلة ، فأمره بذبح هذا الولد الذي أخذ شعبة من قلبه؛ ليخلص هذا القلب السليم الطاهر لربه، وليكون حقيقاً بهذه المنحة العظمى، والنعمة الكبرى ، كما قال تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾(النساء:١٢٥).

فبادر الخليل - عليه السلام - ، وامتثل أمر ربه، وشرع في وسائل الذبح ومقدماته ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾(الصافات: ١٠٣) ، ووقع ما أراد الله، وهو تحقيق العزم الصادق من الخليل، فناداه سبحانه بقوله: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾(الصافات: ١٠٣ - ١٠٦)، وفدى الله إسماعيل -عليه السلام - بكبش من الجنة يذبح مكانه ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾(الصافات: ١٠٧)، وجعل هذه الشعيرة سنة باقية في عقب إبراهيم- عليه السلام - وأتباعه يذبحون أيام النحر، ويجدون ذكرى هذا الذبح العظيم، ويضحون في سبيل الله ما يشترونه بحرّ أموالهم .... وطوافهم بالبيت تعظيم له لكونه رفع على قواعد الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام.

وفي إفاضته إلى المزدلفة والمشعر الحرام: امتثاله لأمر الله ، وشكره على ما حباه مولاه من فضل ونعمة ورحمة وغفران، وفي رميه الجمار رميه لجميع عوامل الشر والفتنة ،وإغراءات الحياة وزخرفها التي يسببها الشيطان.

وحكمة رَمَلهم، واضطباعهم في الطواف تذكير لقلوبهم بهدي الرسول محمد

- ﷺ -، والاقتداء بفعله؛ ليكونوا على شيء من صبره وعزمه وجلده وتذكرة بنشأة الإسلام في عهده الأول، وسعيهم بين الصفا والمروة تذكير بحال إسماعيل وأمه هاجر -عليهما السلام - ، حين تركهما الخليل - عليه الصلاة والسلام- في رعاية ربّ العالمين، ففاضت زمزم بماء البركة وعم الخير، واتسع العمران.

وحكمة الرمل: ويسمى الخبب وهو المشي بسرعة مع تقارب الخطا بهمة ونشاط،.

والاضطباع: هو كشف المنكب الأيمن بجعل جانب الرداء الأيمن تحت الإبط،وطرحه على المنكب الأيسر، فالرمل والاضطباع هما من الهدي النبوي الذي فعله النبي - ﷺ - وأشار على الصحابة به في طوافهم بالكعبة في عمرة القضاء التي كانت في ذي القعدة من العام السابع من الهجرة ، وقد أراد - صلى الله عليه وسلم - أن يرد بهذا الهدي على المشركين ويكبتهم به، ويجعله تكذيباً عملياً لهم، لما بلغه أنهم يستضعفون صحابته - رضوان الله عليهم- ، ويهزءون بقوتهم ويهونون من أمرهم ويقولون: إنهم مرضى ضعفاء نهكتهم حمى يثرب، فأخذ - عليه الصلاة والسلام - يشجع أصحابه ، ويقول لهم: «رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة» فأراهم عليه الصلاة والسلام من نفسه ومن أصحابه بالرمل والاضطباع جلداً قوياً وعزماً وإيماناً وعزة يجب أن تكون محل الأسوة ومضرب الأمثال.

فإن قيل: كان الرمل والاضطباع في الطواف من الرسول - عليه الصلاة والسلام- ومن أصحابه- رضوان الله تعالى عليهم-ى لذلك المعنى الخاص الذي انتهى بانتهاء وقته وتمام الغرض منه.

أجيب: بأنهما صفحة تاريخية إسلامية يجب المحافظة عليهما، وتكرارهما عملياً في الطواف ؛ تذكيراً للقلوب بهدي الرسول - ﷺ -، ومحافظة على متابعة سلفنا الصالح، وقد خطر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه- أن يترك الرمل في الطواف؛ لأن

النبي - ﷺ - فعله لسبب عارض، فزال ثم بدا له - رضي الله تعالى عنه - فمضى عليه، ولم يتركه محافظة على فعل النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وفي حكمة رَمَله واضطباعه في الطواف: ما يحصل له من ترتب الثواب لتأسِّيه بنبيه محمد - ﷺ ما يغلب عليها من المظاهر الروحية فإنها منافع اجتماعية ونفسية وتجارية وأخوية، ففيها يحصل التعارف والتعاون بين أفراد المسلمين المتباعدين في شتى الأقطار، فإن اجتماعهم واختلاط بعضهم ببعض فرصة كبيرة لإيجاد التعارف والتعاون وتبادل المنافع بين أكبر عدد ممكن من المسلمين. فليست هناك فرصة تتاح للمسلم يجتمع بإخوان له من المسلمين جاءوا من أقاصي الأرض كفرصة الحج. ففي هذه الفرصة يعرف المسلم العربي أخاه المسلم التركي والجاوي والصيني والهندي والبربري وهلمّ جراً.

وحكمة حلقهم أو تقصيرهم لشعورهم طريق لخروجهم من الإحرام والتحرر من أحكامه وقيوده ، وبه يتحقق انقضاء التشعث والتغبر، وفي الحلق بعد ذلك كله إشارة منهم إلى إبعادهم الذنوب عنهم واستئصالهم كل رذيلة وابتعادهم عن الأهواء والأغراض الشخصية وطرحهم آمالهم ... فترتفع معنويته وتعلو في نفسه منزلته، ويسترد فيها قيمته فلا يذل ولا يضعف إلا لله خالقه وخالق كل شيء.

وفي حكمة تكبيره عند كل حصاة تنبيه أن الله سبحانه وتعالى أكبر من أن يشغله عنه زُهُوُّ الحياة وفتنتها، وتسويلات الشيطان، وإغراءاته وأنه عبد مطيع لربه مخلص له في عبادته،

وقال الامام النووي رحمه الله في حكمة الرمي في كتابه الإيضاح:في حِكْمَةِ الرَّمْيِ اعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ الْعِبَادةِ الطَّاعَةُ، والعِبَادَاتُ كُلهَا لَهَا مَعَان قَطْعاً فإِنَّ الشَّرْعَ لاَ يأْمُرُ بِالْعَبَثِ، ثُمَّ مَعْنَى الْعِبَادَاتِ قَدْ يَفْهَمُهُ الْمُكَلَّفُ وَقَدْ لاَ يَفْهَمُهُ فَالْحِكْمَةُ في الصَلاَةِ التَّواضُعُ وَالخُضُوعُ والخُشُوعُ وإِظْهَارُ الافْتِقَارِ إِلَى الله تَعَالَى والحِكْمَةُ في الصَّوْمِ كَسْرُ

النَّفْسِ وَفِي الزكَاةِ مُوَاسَاةُ الْمُحْتَاجِ وَفِي الحَجِّ إِقْبَالُ الْعَبْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مِنْ مَسَافَةِ بَعِيدة إِلَى بَيْتٍ فَضَّلَهُ الله تَعَالَى وَشَرَفَهُ كَإِقْبَالِ الْعَبْدِ إِلى مَوْلاَهُ ذَلِيلاً، وَمِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتي لاَ تُفْهَمُ مَعَانِيهَا السَّعْيُ وَالرَّمْيُ فَكُلّفَ الْعَبْدُ بِهَا لِيَتِمَّ انْقِيادُهُ فَإِنَّ هَذَا النَّوْعَ لاَ حَظَّ للنَّفْسِ فِيهِ وَلاَ أُنسَ لِلْعَقْلِ بِهِ فَلاَ يَحْمِلُ عَلَيْهِ إلا مُجَرّدُ امتِثَالِ الأَمْرِ وَكَالانْقِيَادِ فَهَذِهِ إِشَارَة مُخْتَصَرَة تُعْرَفُ بِهَا الحِكْمَةُ في جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ وَالله أَعْلَمُ.

قلت: وفي فعل المكلف للرمي تحقيق لتسليمه للشارع في كل ما أمر ونهى وامتثال لأمر الله تعالى متبعا لا مبتدعا محكما شرع الله فيه تاركا عقله وهواه فيما لا مجال للعقل فيه

وفي حكمة نحره الأضاحي: امتثاله لأمر الله وشكره الذي وفقه لأداء شعائر دينه، ثم التقرب إليه لإطعام الفقراء والتصدق عليهم، والتوسعة على نفسه، وتطهيرها من دنس الشح.

وفي حلقه أو تقصيره لشعر رأسه بعد ذكر الله والإنابة إليه، وبعد التزامه العهود والمواثيق على العمل بما فيه رضاه، وعدم التعرض لمخالفته ومناهيه بعد ذلك كله إشارة منه إلى إبعاده الذنوبَ عنه ، واستئصاله كل رذيلة، وابتعاده عن الأهواء والأغراض الشخصية، وطرحه آماله من الدنيا الزائلة بهمة وعزيمة صادقتين.

وفي حكمة إقامته بمنى يوم النحر و أيام التشريق في متعة وألفة جمع للشمل بعد وعثاء السفر، وذكر الله تعالى وشكره على أفضاله ونعمه، وفي طوافه هو وإخوانه المسلمون حول الكعبة المطهرة، واستلامهم الحجر الأسود، وتقبيلهم إياه مع اعتقادهم أنه حجر لا يضر ولا ينفع، أعظم دلائل الوحدة وقوة الرابطة، واجتماع الكلمة وتوثيق العهد على التعاون في البر، والتساند في الخير، وعلى الإخاء في الله ، والاعتزاز بقوة الله وعلى العمل دائماً بما فيه عزة الإسلام وقوة المسلمين.

إن العهود والمبايعات التي، يجريها الناس فيما بينهم في شئونهم العامة والخاصة يوثقونها،

ويؤكدون العزم على إنفاذها والعمل بها، بأن يصافح بعضهم بعضاً، ويقبض كل منهم بيمناه على يد صاحبه دلالة على الوفاء والتناصر وعلى التعاون في أمان وإخلاص.

وقد نبه الإسلام جميع المسلمين الذين يحجون إلى بيت الله الكريم أن يجددوا في كل عام مبايعتهم لله، وأن يتعاهدوا في اجتماعاتهم في مكة المكرمة على العمل لخيرهم وصلاحهم ولنصرة دين الله، ولا شك أن من المتعذر أن يجري في توثيق تلك المبايعة العامة ، وذلك العهد التحامل على ما توثق به المبايعات والمعاهدات بين الأفراد والجماعات الصغيرة من مصافحة بعضهم بعضاً، وقبض كل منهم يده على يد صاحبه فجعلت مصافحة الحجر الأسود بدلاً من تلك المصافحات العامة ، وصار ذلك رمزاً لتوثيق ذلك العهد وتلك المبايعة.

وفي رحاب البيت قبلة الجميع تكون النفوس أكثر استعداداً لاستشعار معاني الأخوة ، والتعاون فيصبحون بهذا الاجتماع وبهذا التعارف إخوة متآلفي القلوب متحدي الكلمة، متضامنين حساً ومعنىً متمسكين بحبل الله. فما أجمل هذا الموسم الروحاني، وما أعظم ذلك العيد الرباني يلتقي فيه زعماء المسلمين وساستهم، ويتبادلون فيه أسباب الإصلاح، فيعرف كل منهم ما في بلاد أخيه من التجارة والصناعة والزراعة والفوائد المستحسنة» فيقتبس بعضهم من بعض هذه المنافع ، ويتبادلون تلك المصالح ويرسمون فيه الخطط الرشيدة والوسائل الحكيمة ؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وطريقة المسلمين هي المثلى، وليكون المؤمنون جماعة واحدة في مشارق الأرض ومغاربها، تعمل تحت راية القرآن لتأييد السلام والعدالة في العالم، فالحج مؤتمر إسلامي جليل، ومجتمع للقادة حافل في مهبط وحي السماء على أساس من النور الإلهي والهدي المحمدي.

وهذا قليل من كثير من منافع يوم النحر وأسراره وحكمه، ونجهل منها الكثير وربما كان ما نجهله ، ونتمتع به أكثر مما نعرفه مما نوّه به علماء الإسلام رحمهم الله جميعا.

نبذة من أحكام يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذي الحجة

الأحكام الفقهية:

قال الإمام النووي - رحمه الله - في إيضاحه في أمورٍ تُشْرَعُ يوم النحرِ، ويتعلقُ بِهِ غيرُ مَا ذكرناهُ.

أحدها: يُسْتَحَبُّ للحُجَّاج بمنى أن يُكَبِّرُوا عقبَ صلاةِ الظُّهْرِ يومَ النَّحْرِ، وما بعدَها من الصَّلَواتِ التي يُصَلونَها بمنى وآخرُها الصُّبْحُ مِنَ اليوم الثالثِ من أَيامِ التَّشْريق، وأَمَّا غيرُ الحجَّاج، فَفِيهِمْ أقوالٌ مختلفةٌ للعلماءِ أشهَرُها عندَنا أَنهُمْ كالحُجاجِ، والأَقْوى أنهُمْ يكبرونَ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ يومَ عرفةَ إِلَى أَنْ يُصَلُّوا العصرَ من آخرِ أيام التشريقِ، ويكبّرُ الحجاجُ وَغيرُهُمْ خَلْفَ الفرائِضِ المؤداةِ والمَقْضِيةِ وخلفَ النَّوافِلِ وَخَلْفَ صَلاَةِ الجنازةِ عَلَى الأصح، وسواء في اسْتِحْبَابِ التكبير المسافِرُ والحاضِرُ والمُصلِّي في جَمَاعَة وَمُنْفَرِدٌ والصحيحُ والمريضُ والتكْبِير أن يقولَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ وَيُكَرر.

هَذَا مَا تَيَسرُ لَه هَكَذَا نَصَّ الشَّافِعِيُّ وَجمهورُ أصحابِهِ قَالُوا: وإِنْ زَادَ زِيادةَ عَلَى هَذَا فحسَنٌ أَنْ يقُولُ: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحانَ الله بكْرَة وأصِيلاً، لا إِلَه إلا الله ولا نَعْبُدُ إلا إِيَّاهُ، مُخْلصينَ لَهُ الدينَ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ، لاَ إِلَهَ إلاّ الله وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وحدَهُ، لا إِلَه إلاَّ الله والله أَكْبر .

وقالَ جماعة من أصْحابِنَا: لا بأسَ أَنْ يقولَ ما اعْتَادَهُ النَاسُ الله أَكْبَرُ الله أكبرُ الله أكبرُ لا إِلَه إلا الله، والله أكبرُ الله أَكْبَرُ، ولله الحَمْدُ.

الثاني: يُسْتَحَب أن تكُونَ صَلاَةُ الظهْرِ بمنى بعدَ طَوافِهِ للإفَاضَةِ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ الله - ﷺ - كَمَا سَبَقَ فِي الحديثِ الصَّحيحِ، ولْيَحْضُرْ خُطْبَةَ الإِمَامِ والله أعلم.

الثالث: يُسَنُّ للإِمَامِ أن يخطبَ هذا اليومَ بعدَ صلاةِ الظهرِ بمنى خُطْبَة مُفْرَدةً يُعلّمُ الناسَ بِهَا المبيتَ والرمْيَ في أَيَامِ التَّشريقِ والنَّفْر وَغَيْرِ ذَلِكَ مما يحتاجُونَ إِلَيْهِ مما بينَ أَيْدِيهِمْ وَمَا مضَى لَهُم في يَوْمِهِمْ ليأتي بِهِ مَنْ لَمْ يفعلهُ أو يعيدهُ مَن فَعَلَهُ عَلَى غَيْر وَجْهِه

وَهَـذ الخطبـةُ هـيَ الثَّالِثَـةُ مِـنْ خُطَـبِ الحـجِّ الأَرْبَـعِ ، وقـد سَـبقَ بَيانُهُـنَّ ، ويُسْـتَحَب لـكُل واحـد مِمَّـنْ هُنَـاك حُضُـورُ الخطْبَـةِ ويغتسـلُ لحضُورِهَـا، وَيَتَطَيَّـبُ إِنْ كَانَ قـد تَحَلَّـلَ التحَلـلَـيْن أو الأَوَّلَ مِنْهُـمَا.

الرابـع: اختلـفَ العُلَـمَاءُ في يـومِ الحـج الأكْـبَر، فالصَّحيـحُ أَنَّـهُ يـومُ النَّحْـرِ؛ لأن مُعْظَـمَ أعـمالِ المَنَاسِـكِ فِيـهِ، وقيـلَ: هـو يـومُ عرفـة والصَّـوَابُ الأَوَّلُ ، وإنـما قِيـلَ لـه الحـجُّ الأكْـبَرُ مِـنْ أجْـلِ قَـوْلِ النَّـاسِ العمـرَةُ الحـجُّ الأصْغَـرُ.

قـال الإمـام النـووي- رحمـه الله - في«المجموع»:«وينبغـي أن يـأتي بهـذه الأذكار كلهـا فتـارة يهلـل وتـارة يكـبر وتـارة يسـبح وتـارة يقـرأ القـرآن، وتـارة يصـلي عـلى النبـي- ﷺ -، وتـارة يدعـو وتـارة يسـتغفر ويدعـو مفـرداً، وفي جماعـة وليـدع لنفسـه ولوالديـه ومشـايخه وأقاربـه وأصحابـه وأصدقائـه وأحبائـه وسـائر مـن أحسـن إليـه وسـائر المسـلمين، وليحـذر كل الحـذر مـن التقصـير في شيء مـن هـذا، فـإن هـذا اليـوم لا يمكـن تداركـه بخـلاف غـيره.

وينبغـي أن يكـرر الاسـتغفار والتلفـظ بالتوبـة مـن جميـع المخالفـات مـع النـدم بالقلـب، وأن يكثـر البـكاء مـع الذكـر والدعـاء، فهنـاك تسـكب العـبرات وتسـتقال العثـرات وترتجـى الطلبـات». اهـ.

وقـال الإمـام النـووي -رحمـه الله - في كتابـه الإيضـاح أيضـا: (وأَمَّـا الأَعْـمَالُ المشروعـةُ يَـوْمَ النَّحْـرِ فَهِـيَ أَرْبَعَـةٌ: رَمْـيُ جَمْـرَةِ الْعَقَبَـةِ، ثُـمَّ ذَبْـحُ الهَـدْيِ، ثَـم الْحَلْـقُ ثُـمَّ الذّهـابُ إِلى مَكَّـةَ لِطَـوَافِ الإِفَاضَـةِ، وَهِـيَ عَـلى هَـذَا التّرتيـبِ مُسْـتَحَبةٌ، فَلَـوْ خَالَـفَ فَقَـدَّمَ بَعْضَهَـا عَـلَى بَعْـض جَـازَ وَفَاتَتْـهُ الْفَضِيلَـةُ ويَدْخُـلُ وقـت الرمْـي والحَلْـقِ والطـوافِ بنصْـفِ الليـل مِـنْ لَيْلَـةِ الْعِيـدِ وَيَبْقَـى الرَّمْـيُ إلى غُـروبِ الشَّـمْس وَقِيـلَ يَبْقَـى إِلى طُلُـوعِ الفَجْـرِ مـن لَيْلَـة أول أيـامِ التَّشْرِيـقِ.

وأَمَّـا الحَلْـقُ والطَّـوَاف، فَـلاَ آخِـرَ لِوَقْتِهِـمَا بَـلْ يَبْقِيـان مـا دَامَ حَيـاً وَلَـوْ طَـالَ سِـنِينَ مُتكاثـرةً،

وَأمَّا وَقْتُ الاخْتِيَارِ لِهَذه الأَعْمَال فَيَبْدَأُ فِيهِ بجَمْرَةِ الْعَقَبَةِ عَلَى تَرْتيبِ الأَفْضَلِ.

وَيَتَعَلَّقُ بِهَا مَسَائِلُ:

الأَوْلى: يَنْبَغِي إِذَا وَصَلَ مِنى أن لا يُعَرّجَ عَلَى شَيْء قَبْلَ جَمْرَةِ الْعَقَبة ، وَتُسَمَّى الْجَمْرَةَ الكُبرَى وهي تَحيةُ منى، فلا يبدأ قبلها بشيء ، وَيَرْمِيَهَا قَبْلَ نُزُولِهِ وَحَط رَحْلِه ، وَهِيَ عَلَى يَمِينِ مُسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةِ إِذَا وَقَفَ في الجَادَّةِ وَالْمَرْمَى مُرْتَفعٌ قَلِيلاً مِنْ سَفْحِ الْجَبَلِ.

الثانيةُ: السُّنة أن يَرْميهَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَارْتفاعِهَا قَدْرَ رُمْحٍ

الثالثة: الصَّحيحُ الْمُختارُ في كَيفية وقُوفه لِيرمِيها أنْ يقفَ تَحْتَهَا في بَطْنِ الوَادي فَيَجْعَلَ مكَّةَ عن يَسَارِهِ وَمِنى عَنْ يَمِينِهِ ويَسْتَقْبِلَ العَقَبَةَ ثُمَّ يَرْمِي، وَقِيلَ :يقف مُسْتَقْبَلَ الجَمْرَةَ مُسْتَدْبِر الْكَعْبَة، وَقِيلَ: يَسْتَقْبلُ الْكَعْبَةَ، وَتكونُ الْجَمْرَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالْحَدِيثُ الصَّحِيح يَدُلُّ عَلَى الأَوَّلِ تَصْرِيحاً.

الرابعة: السُّنةُ أنْ يَرْفَعَ يده في رميها حَتَّى يُرى بَيَاضُ إبطه، وَلاَ تَرْفَعُ الْمَرْأة .

الخامسةُ: السُّنَّةُ أَنْ يقْطَعَ التّلْبِيَةَ بأَوَّلِ حَصَاة يَرْمِيهَ، وَيُكَبِّر بَدَلَ التَّلْبِيَةِ ؛لأَنَّهُ بالرمْيِ يَشْرَعُ في التّحَلُلِ من الإِحرام، والتلبية شعار الإِحرام، فلا يأتي بها مع شروعه في التحلل وَلَوْ قَدمَ الحَلْقَ أوْ الطوَافُ عَلى الرَّمي قَطَعَ التَّلْبِية بشُروعِهِ في أَوَّلِهِ؛ لأَنَّهُما مِنْ أسْبَابِ التحَلُلِ، واسْتَحَبَّ بعضُ أصْحَابِنا فِي التكْبِيرِ المشروعِ مَعَ الرمْيِ أَنْ تقُولَ: الله أكْبَرُ الله أكْبَرُ الله أكبر كَبِيراً والحَمْدُ لله كَثِيراً وَسُبْحَانَ الله بُكْرَة وَأصِيلاً، لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، له الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْد يحْيي وَيُمِيتُ وَهُوَ على كُلّ شَيْء قَدِير، لاَ إِلَهَ إلا الله ولاَ نَعْبُدُ إلا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، لا إلَهَ إلا الله وَحْدَهُ صدَقَ وَعْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ لاَ إِلَه إلا الله وَالله أكْبَر.

الرابعة: السُّنةُ أنْ يَرْفَعَ يده في رميها حَتَّى يُرى بَيَاضُ إبطه وَلاَ تَرْفَعُ الْمَرْأة .

الخامسةُ: السُّنَّةُ أَنْ يقْطَعَ التّلْبِيَةَ بأَوَّلِ حَصَاة يَرْمِيهَ ، وَيُكَبِّر بَدَلَ التَّلْبِيَةِ؛ لأَنَّهُ بالرمْيِ يَشْرَعُ في التّحَلُلِ من الإِحرام، والتلبية شعار الإِحرام، فلا يأتي بها مع شروعه في

التحلل وَلَوْ قَدمَ الحَلْقَ أوْ الطوَافُ عَلى الرَّمي قَطَعَ التَّلْبِية بشُروعِهِ في أَوَّلِهِ لأَنَّهُما مِنْ أسْبَابِ التحَلل، واسْتَحَبَّ بعضُ أصْحَابِنا فِي التكْبِيرِ المشروعِ مَعَ الرمْيِ أَنْ تقُولَ: الله أكْبَرُ الله أكْبَرُ الله أكبر كَبِيراً والحَمْدُ لله كَثِيراً وَسُبْحَانَ الله بُكْرَة وَأصِيلاً، لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، له المُلْكُ وَلَهُ الحَمْد يحْيي وَيُمِيتُ وَهُوَ على كُلّ شَيْء قَدِير، لاَ إِلَهَ إلا الله ولاَ نَعْبُدُ إلا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، لا إلَهَ إلا الله وَحْدَهُ صدَقَ وَعْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ لاَ إِلَه إلا الله وَالله أكْبَر.

بيان حكم الْمَرْمَى فَلَوْ رَمَى فِي الهَوَاء فَوَقَعَ فِي الْمَرْمَى لَمْ يُعْتَدَّ بِهِ، وَلاَ يُشْتَرَطُ بقَاءُ الْحَصَاةِ فِي الْمَرْمَى، فَلا يَضُرُّ تَدَحْرُجُهَا أو خُرُوجُهَا بَعْدَ الْوُقُوعِ فِيهِ، وَلاَ يُشْتَرَطُ وُقُوفُ الرَّامِي خَارِجَ الْمَرْمَى، فَلَوْ وَقَفَ فِي طَرَفِ الْمَرْمَى، وَرَمَى إِلَى طَرَفِهِ الآخَرِ أَجْزَأَهُ، وَلَوْ انْصَدَمَتْ الْحَصَاةُ الْمَرْمِية بالأَرْضِ خَارِجَ الْجَمْرَةِ أَوْ بِمَحْمَلٍ فِي الطَّرِيقِ أَوْ عُنُقِ بَعِيرٍ أَوْ ثَوْبِ إِنْسَانٍ ثُمَّ ارْتَدَّتْ فَوَقَعَتْ فِي الْمَرْمَى اعْتُدَّ بِهَا لِحُصُولِهَا فِي الْمَرْمَى بِفِعْلِهِ مِنْ غَيْرِ مُعَاوَنَةٍ، وَلَوْ حَرَّكَ صَاحِبُ الْمَحْمَلِ فَنَفَضَهَا أَوْ صَاحِبُ الثَّوْبِ تَحَرَّكَ الْبَعِيرُ فَدَفَعَهَا فَوَقَعَتْ فِي الْمَرْمَى لَمْ يُعْتَدَّ بِهَا ، وَلَوْ وَقَعَتْ عَلَى الْمَحْمَلِ أَوْ عُنُقِ الْبَعِيرِ ثُمَّ تَدَحْرَجَتْ إلى الْمَرْمَى فَفِي الاعْتِدَادِ بِهَا وَجْهَانِ لأصْحَابِنَا أظْهَرُهُما لاَ يُعْتَدُ بِهَا، وَلَوْ وَقَعَتْ فِي غَيْرِ الْمَرْمَى ثُمَّ تَدَحْرَجَتْ إلى الْمَرْمَى أَوْرَدَتْهَا الريحُ إِلَيْهِ اعْتُدَّ بِهَا عَلَى الأَصَحّ ، ولا يجزئ الرَّمْيُ عَنِ القَوْسِ وَلاَ الدّفْعُ بالرجْلِ، وَلَوْ شَك فِي وُقُوعِ الْحَصَاةِ فِي الْمَرْمَى لَمْ يُعْتَدَّ بِهَا عَلَى الْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ وَهُوَ نَصُ الشَّافِعِي رَحِمَهُ الله تَعَالى فِي الْجَدِيد.

وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَرْمِيَ الْحَصَيَاتِ فِي سَبعِ مَرّات فَلَوْ رَمَى حَصَاتَيْن أَوْ سَبْعاً دَفْعَة وَاحِدَة فَوَقَعَتْ فِي الْمَرْمَى مَعاً أَوْ بَعْضُهُنّ بَعْدَ بَعْض لَمْ تُحْسَبْ إلاّ حَصَاة واحِدَة ، وَلَوْ رَمَى حَصَاة ثُمَ أَتْبَعَهَا حَصَاةً أُخْرَى حُسِبت الحصَاتان رَمْيَتَيْن سَوَاء وَقَعَتَا مَعاً أَوْ الثَّانِيةُ قَبْلَ الأُولى أو عَكْسُهُ، وَلَوْ رَمَى بِحَجرٍ قَدْ رَمَى بِهِ غيره أو رمى به هُوَ إلى جَمْرَةٍ أُخْرَى أَوْ إلى هَذه الْجَمْرَةِ فِي يَوْم آخرٍ أَجْزَأَهُ بِلاَ خِلاَفٍ .

وإنْ رَمَى بِهِ هُوَ إلى تِلْكَ الجَمْرَةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ أَجْزَأَهُ أيضاً عَلى الأَصحِ كَمَا لَوْ دَفَعَ إِلَى فَقِيرٍ مُداً فِي الْكَفَّارَةِ ثُمَّ اشْتَرَاهُ وَدَفَعَهُ إلى آخَرِ وَعَلَى هذَا يُمْكِنُ أَنهُ يُحصلُ جَمِيعَ رَمْيِهِ فِي الأَيَّامِ بِحَصَاةٍ وَاحِدةَ بَلْ رَمْيُ جَمِيعِ النَّاسِ يُمْكِنُ حُصُولُهُ بِحَصَاةٍ إِنْ اتَّسَعَ الْوَقْتُ.

فرع): مَنْ عَجَزَ عَنِ الرّمي بِنَفْسِهِ لِمَرَض أَوْ حَبْس يستنيب مَنْ يَرْمِي عنه ، ويُسْتَحَب أن يناول النائب الحصى إنْ قَدرَ وَيُكَبرُ هُو وإِنَّمَا تَجُوزُ النيابة لِعَاجِزٍ بِعِلَّةٍ لاَ يُرْجَى زَوَالُهَا قَبْلَ خُرُوجِ وَقْتِ الرَّمْيِ وَلاَ يُمْنع زَوَالُهَا بَعْدَهُ وَلاَ يَصحُّ رَمْيُ النَّائِبِ عَنِ الْمُسْتَنِيبِ إلا بَعْدَ رَمْيِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ خَالَفَ وقَعَ عَنْ نَفْسِهِ أَصْلِ الْحَجّ وَلَوْ أُغْمِيَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لِغَيرِهِ فِي الرَّمْيِ عَنْهُ لَمْ يَجُزْ الرمْيُ عَنْهُ وَلَوْ أَذِنَ أجْزَأَ الرَّمْيُ عَنْهُ عَلَى الأَصَحِّ.

وَلَوْ رَمَى النَّائب ثُم زَالَ عُذْرُ الْمُسْتَنِيبِ والوقْتُ بَاقٍ فالمذهب الصّحيحُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ إعَادَةُ الرَّمي.)

وزيادة في كلام العلماء ليوم النحر قال الإمام الغزالي- رحمه الله - في كتابه إحياء علوم الدين:

.... ثُمَّ لِيُغَلِّسْ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ ،وَلْيَأْخُذْ فِي الْمَسِيرِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَهُوَ آخر المزدلفة فيقف، ويدعو إلى الإسفار، ويقول: اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام، وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ثُمَّ يَدْفَعُ مِنْهَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي مُحَسِّرٍ، فَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُحَرِّكَ دَابَّتَهُ حَتَّى يَقْطَعَ عَرْضَ الْوَادِي وَإِنْ كَانَ رَاجِلًا أَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ... ثم نستقبل بعدها يوم النحر الذي هو أفضل أيام الدنيا.

وقد سُئِل أحد العلماء: أيهما أفضل: يوم عرفة، أو الجمعة، أو الفطر، أو النحر؟ فأجاب: الحمد لله، أفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة باتفاق العلماء، وأفضل أيام العام هو يوم النحر، وقد قال بعضهم: يوم عرفة، والأول هو الصحيح؛ لأن في السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الأيام عند اللهّ يوم النحر ثم يوم القَرِّ». لأنه - أي يوم

النحر - يوم الحج الأكبر في مذهب مالك والشافعي وأحمد، رحمهم الله كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يوم النحر هو يوم الحج الأكبر».

وفيه من الأعمال مالا يُعمل في غيره، كالوقوف بمزدلفة، ورمي جمرة العقبة وحدها، والنحر، والحلق، وطواف الإفاضة، فإنَّ فِعْل هذه فيه أفضل بالسنة واتفاق العلماء. والله أعلم.

وقال الإمام الغزالي- رحمه الله - في إحيائه:

(ثُمَّ إِذَا أَصْبَحَ يَوْمَ النَّحْرِ خَلَطَ التَّلْبِيَةَ بالتَّكْبِيرِ فَيُلَبِّي تَارَةً، وَيُكَبِّرُ أُخْرَى، فَيَنْتَهِي إِلَى مِنًى وَمَوَاضِعِ الْجَمَرَاتِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ فَيَتَجَاوَزُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ فَلَا شُغْلَ لَهُ مَعَهُمَا يَوْمَ النحر حتى ينتهي إلى جمرة العقبة ،وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلاً في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلاً القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمي سبع حصيات رافعاً يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ اللهُ أَكْبَرُ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَرَغْمَ الشَّيْطَانِ اللَّهُمَّ تَصْدِيقًا بِكِتَابِكَ وَاتِّبَاعًا لسنة نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله، وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ الله بكرة وأصيلاً لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثُمَّ لِيَذْبَحِ الْهَدْيَ إِنْ كَانَ مَعَهُ وَالْأَوْلَى أن يذبح بنفسه وليقل بسم اللهَّ وَاللهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ مِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ تَقَبَّلْ مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ وَالتَّضْحِيَةُ بِالْبُدْنِ أَفْضَلُ ثُمَّ بِالْبَقَرِ ثُمَّ بِالشَّاةِ والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء

وقال أبو هريرة- رضي الله عنه - البيضاء أفضل في الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت مِنْ هَدْيِ التَّطَوُّعِ، وَلَا يُضَحِيَنَّ بِالْعَرْجَاءِ وَالْجَدْعَاءِ والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الأنف والأذن للقطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة في الأذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقى أي لا مخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه وَمَهْمَا حَلَقَ بَعْدَ رَمْيِ الْجَمْرَةِ فَقَدْ حَصَلَ له التحلل الأول وحل له كل المحذورات إِلَّا النِّسَاءَ وَالصَّيْدَ.

ثُمَّ يُفِيضُ إِلَى مَكَّةَ وَيَطُوفُ كَمَا وَصَفْنَاهُ وَهَذَا الطَّوَافُ طَوَافُ رُكْنٍ فِي الْحَجِّ وَيُسَمَّى طَوَافَ الزِّيَارَةِ وَأَوَّلُ وَقْتِهِ بَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ النَّحْرِ وَأَفْضَلُ وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبقى مقيداً بعلقة الإحرام فلا تَحِلُّ لَهُ النِّسَاءُ إِلَى أَنْ يَطُوفَ فَإِذَا طَافَ تَمَّ التَّحَلُّلُ وَحَلَّ الْجِمَاعُ وَارْتَفَعَ الْإِحْرَامُ بالكلية ولم يبق إِلَّا رَمْيُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَالْمَبِيتُ بِمِنًى وَهِيَ وَاجِبَاتٌ بَعْدَ زَوَالِ الْإِحْرَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِتْبَاعِ للحق وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركناً فلا ينبغي أن يعيد السعي.

وَأَسْبَابُ التَّحَلُّلِ ثَلَاثَةٌ الرَّمْيُ وَالْحَلْقُ وَالطَّوَافُ الَّذِي هُوَ رُكْنٌ، وَإِذا أَتَى بِاثْنَيْنِ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ تَحَلَّلَ أَحَدُ التَّحَلُّلَيْنِ وَلَا حَرَجَ عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مَعَ الذَّبْحِ وهذا هو مذهب الامام الشافعي رحمه الله وَلَكِنَّ الْأَحْسَنَ أَنْ يَرْمِيَ

ثُـمَّ يذبـح ثـم يحلـق ثـم يطـوف خروجـا مـن خـلاف مـن أوجـب الترتيـب في أعـمال النحـر وهــو قــول الإمــام ابي حنيفــة رحمــه الله.

والسـنة للإمـام في هـذا اليـوم أن يخطـب بعـد الـزوال وهـي خطبـة وداع رسـول الله ﷺ ففـي الحـج أربـع خطـب خطبـة يـوم السـابع وخطبـة يـوم عرفـة وخطبـة يـوم النحـر وخطبـة يـوم النفـر الأول وكلهـا عقيـب الـزوال وكلهـا إفـراد إلا خطبـة يـوم عرفـة فإنهـا خطبتــان بينهــما جلســة.

وفي نهايـة المطـاف في بحثنـا أرجـو القبـول مـن الله تعـالى في كل مـا جمعنـاه وكتبنـاه خدمـة لأمـة الاسـلام أجمعـين، وحسـن النـول وحصـول المـؤول، وصـلى الله عـلى سـيدنا محمــد وعــلى ألــه وصحبــه وســلم وآخــر دعوانــا ان الحمــد لله رب العالمــين.

الحج المبرور

الدكتور ماجد المومني

الحج هو قصد مكة في أشهر معلومات هي (شوال وذو القعدة وذو الحجة) لأداء الطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات، وسائر المشاعر ابتغاء وجه الله تعالى مصداقا لقوله تعالى:﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة، ١٩٧) .

والحج ركن من أركان الاسلام الخمسة، فرضه الله تعالى على المسلم القادر عليه مرة في العمر.. المسلم البالغ القادر على نفقته ، ونفقة عياله من مال حلال... ودليل فرضيته قوله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ (آل عمران،٩٦ – ٩٧) .

والحج ينتج ثمرته الطيبة، ويعطي عطاءه الكريم، إذا كان حجاً مبروراً، وهو الحج الذي لا يخالطه إثم ولا معصية، ويقترن بإطعام الطعام، وطيب الكلام ، والتزود من فعل الخيرات، وهذه جميعها تتوافر فيها شروط ثلاثة (لا رفث ، ولا فسوق ،ولا جدال).

مصداقا لقوله تعالى:﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ (البقرة، ١٩٧) .

أما الرفث.. فهو جماع النساء.. وهو أحد أهم المحظورات والممنوعات في الاحرام، والذي يبدأ يوم التروية الثامن من ذي الحجة، وينتهي بانتهاء أيام التشريق الثلاثة، وبعد أداء طواف الإفاضة، وذلك لمن كان يريد أداء الحج وحده، غير مقترن بعمرة، أما من كان حجه حجا مقرونا وبدون تمتع مع عمرة، فالإحرام يبدأ مع النية التي حددتها السنة النبوية في أماكن محددة مثل أبار علي لأهل الشام وأماكن أخرى لأهل اليمن ولأهل العراق والحجاج عن طريق جده.

أما الشرط الثاني للحج المبرور ولا فسوق، فيعني تحريم المعاصي بأشكالها وألوانها ما صغر منها أو كبر، والآثام اللاحقة بها، والأصل في الحج أنها طهارة من هذه الآثام، واستغفار من المعاصي الماضية، فمن طلب القبول عليه بالتوبة، والابتعاد عن هذه المعاصي، والاستغفار من الله تعالى.

أما شرط الحج المبرور الثالث: لا جدال، فيعني حرمة قوله الفحش والمنكر والبغي والفتنة والغيبة والنميمة والجدال في المسائل التي لا علم له فيها، والابتعاد عن الشك بمناسك وشعائر الله وقبولها قبولا حسناً بتصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، أي: أداء العبادات لله تعالى.

وطيب الكلام وإفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة والناس نيام، وهي علامات المؤمن الذي يبتعد عن الجدال. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت، ٣٣-٣٤).

وقد بين الحسن بن علي - رضي الله عنهما - أن علامة الحج المبرور أن يرجع الحاج زاهداً في الدنيا راغبا في الآخرة.

ويجوز الجمع بين العمرة والحج بتمتع وغير تمتع، وهو ما يسمى حج القران، والعمرة

تعني زيارة الكعبة والطواف بها - أي من حولها - ، ثم السعي بين الصفا والمروة، ثم الحلق والتقصير.. وحكمها عند الفقهاء واجب، لما لهذا الأداء من مغفرة وثواب بإذنه تعالى مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾(البقرة ،١٩٦).

الحج عبادة ومنافع :

ومع أن الحج عبادة، ومع أنه ركن من أركان الإسلام الخمسة، إلا أنه يشتمل على كثير من المنافع الدنيوية ، وحسن الجزاء في الآخرة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ (الحج: ٢٧ -٢٩)

وهذه الآيات المحكمات تشتمل مناهج الحياة كلها:

- الجوانب التربوية.
- الجوانب النفسية.
- الجوانب الاجتماعية.
- الجوانب الاقتصادية
- الجوانب الأخلاقية.
- الجوانب الروحية.

مما جعل اجتماع المسلمين من جميع أنحاء الدنيا في أيام معدودات بلباس موحد ، وشعائر متناسقة وأماكن مقدسة واحدة وأحكام سارية على الجميع.. كل ذلك جعل من الحج اجتماعا كريما يأتلف به المسلمون من جميع أطراف الأرض يؤدون الشعائر والأحكام والعبادة ،وينتفعون ويتداولون في شؤون الإسلام والمسلمين.. ويتخلصون من الخطايا والآثام والمعاصي ،فيغسلونها بالعبادة والطاعة والتزود بالتقوى.

وسأتناول المنافع الأخرى بشيء من التفصيل، لإيضاح أهمية أداء هذا الركن العظيم

١ - الجوانب التربوية :

شعائر الحج سلوك إجرائي عملي يقوم بها المسلم بانتظام وامتثال وفق تعاليم وضعها الخالق عز وجل وشعائر وأحكام وردت في القرآن الكريم منها:

أ- التمام والكمال لله وحده.. وأداء الشعائر والأحكام بتمامها، نزوغ إلى الامتثال والتشبه بالكمال الذي يرضي الله ،ويربي نفوس الاتقياء منهم، فالتقي لا يكتفي ببعضها ،ولا يرضى بنقصانها .. بل يؤديها بتمامها مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾(البقرة ،١٩٦).

ب - العزائم من الأعمال جعلها الله للقادرين عليها .. أما الرخص ، فقد يسرها على المحصرين من عباده، بمرض أو علة، ووضع لها منافذ إن أداها نال الثواب بها.. كما لو كان سليما بأدائها ،وإن لم يستطع ،فلا يحرمه من حسن الجزاء والثواب عليها .

قال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (البقرة ، ١٩٦) .

الله أكبرا ما أعظمها من بدائل ،وما أجلها من تعاليم !!

ج- السلوك الإجرائي التربوي لأداء شعائر الحج جعل الله تعالى للمحصرين ،وأصحاب الأعذار البدائل التالية :

- المريض أو الذي برأسه ألم عليه افتداء ما نقصه من مناسك أن يذبح الهدي ،وأن يطعم البائس الفقير.

- وكذلك فإن الهدي يجب على من تمتع بالعمرة إلى الحج، ومن نوى حج القرآن ، ومن لم يستطع الهدي عليه أن يصوم ثلاثة أيام في فترة الحج ،وسبعة أيام بعد عودته، عشرة كاملة ، ولا يحلق رأسه إلا بعد الهدي.

٢ - الجوانب النفسية :

مناسك الحج وشعائره وأحكامه، جميعها سلوك عملي يروض النفس البشرية ،ويلهمها بشعور التقوى والخير والسعادة وعبادة الله ، وتلك الشعائر والمناسك تبعدها عن الهوى والمنكر والسوء.. فكأنها تهذيب عملي للنفس، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ (الشمس ٧- ٨) .

فالذي خلق هذه النفس أوضح الأسباب التي تقوي هذه النفس، وتخلصها من الخطايا والخبث والسوء بالعودة الى الله، والامتثال لأحكامه ، والعمل بشعائره ، ومنها شعائر ومناسك الحج، فهي توصل نفس صاحبها الى التقوى ومغفرة الله تعالى والصلاح.

وكلما ابتعدت النفس البشرية عن أداء شرائع الله وأحكامه، كلما ابتعد صاحبها تدريجيا الى أن يصل الى درجة الفجور - والعياذ بالله -.

إذن فأداء العبادات يوصل ويلهم الخير والتقوى والصلاح.. وهجر أركان الإسلام، يوصل إلى الضلال والفجور.

ومثل هذا الشعور لا يدركه إلا من عاش تجربة الاطمئنان والسعادة والرضى والقناعة والأمن والاستقرار جميعها يدركها المصلون الذين هم في صلاتهم خاشعون والصائمون والعاكفون العابدون.. والحج يعود النفس على ما يلي:

١- الصبر وتعود المشاق. مع ما يصحبه من تعب وعطش في الطواف والسعي والوقوف في عرفات جميعها تربية نفسية تعود بالحجاج الى حظيرة الرحمن ،والابتعاد عن هوى النفس.

٢- النظام والترتيب وطريقة اللباس في الإحرام والزحمة في الطواف والسعي والوقوف في

عرفات ورمي الجمرات جميعها تهذيب النفس بالطاعة والصبر. والسعادة والاستجابة لأوامر الله .

٣- إن هذه الشعائر تذكر المؤمن بيوم الحشر ويوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٣ - الجوانب الاجتماعية :

اجتماع الحجيج من كل فج عميق.. مساواة بعد اختلاف...

- مساواة بين الكبير والصغير.. والغني والفقير والحاكم والمحكوم. وبين الشعوب والاتباع وبين الملوك.

- مساواة بين الناس في التكاليف والعبادات، فما يطلب من شعائر وأحكام الناس بها متساوون فالصلوات والطواف والسعي والوقوف في عرفات جميعها أركان وأحكام تطبق على الجميع وبدون استثناء.

- المساواة في الجزاء تبعا للأعمال إن كانت خيراً فخير ، وإن كانت شرا فشر... مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(الزلزلة :٧-٨). فالجوانب الاجتماعية في الحج تتضح فيما يلي:

- المساواة في الحقوق والواجبات.

- المساواة بأداء التكاليف والعبادات.

- المساواة بين الطبقات الاجتماعية.

- التقارب بين الشعوب ، فلا تمييز في أجناسهم، وألوانهم وأعمارهم ومراكزهم وسلطانهم وأعراقهم إلا الاستزادة من التقوى.

- التشاور بين المسلمين فيما يخص أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية.. والتداول في حل قضايا المسلمين وتوحيد كلمتهم.

- الألفة والتواد والمحبة والتراحم بين أفراد الحجيج ، ومن جنسيات مختلفة يزيد من

متانة الاعتصام بحبل الله..

٤ - الجوانب الاقتصادية :

لئن كانت المؤتمرات الاقتصادية والتكتلات التجارية لا تمنع من الكوارث الاقتصادية وتهاوي البورصات العالمية، فإن الاجتماع الإلهي الكبير مأمن من الله يغني عباده عن هذه التكتلات ،ويأتيهم رزقهم رغدا.

وهذا المأمن في الرزق يتمثل بما يلي:

أ - ذبح الهدي والضحايا من الحجاج من الناحية الاقتصادية فيها منافع للتجار والحجاج والفقراء والبائسين وأهل مكة على الخصوص وسائر المسلمين.. بل إن لحوم هذه الأضاحي توزع على كثير من بلاد المسلمين.

ب - انتعاش السوق الشرائية بتأمين حاجيات الحجاج وهداياهم ومساكنهم ومطعمهم ومشربهم ومواصلاتهم ، وسائر احتياجاتهم ، وهذا يجلب العملات الصعبة ، ويسوق منتجات البلاد الإسلامية.

ج - وإن كانت الرفادة والسقاية من مصادر الاقتصاد في مكة قبل مجيء الإسلام، كما كانت رحلة الشتاء والصيف لبلاد الشام من وسائل انتعاش اقتصاد أهل البيت العتيق.. فإن من نعمته تعالى على البلد الأمين بلد البيت العتيق أن يأتيها رزقها رغداً في زمن الإسلام وعلى مدار الزمان والسنين بهذا الموسم الكريم.. موسم الحج الى بيت الله العتيق.

٥- الجوانب الأخلاقية :

وتبينها الآية الكريمة في قوله تعالى ... (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .....)

فالجوانب الأخلاقية المشمولة بهذه الآية :

أ- لا رفث في أيام الحج.. تتسامى النفس عن الشهوات وعلى رأس هذه الشهوات

مباشرة وجماع النساء.. إنها تطهر النفس من قمة الشهوات.. لتتفرغ لعبادة الله.

ب - لا فسوق أي : يمنع على الحاج أي عمل من شأنه أن يلحق به الإثم والفسق والعصيان، وحتى تكون الطاعة خالصة لوجه الله.. فهجر هذه المعاصي ، وترك الآثام والمعاصي تهذيب للنفس بالعودة الى حظيرة الرحمن ،وإعلان الحرب على الشيطان وسد منافذه في الشهوات

ج - ولا جدال : الجدال، النقاش في أمور تخرج عن طاعة الله النقاش والمجاهرة بالفواحش النقاش في قضايا تتعلق بالشك في المناسك والشعائر، والنقاش في قضايا الخصام والفتنة وإثارة العداوات بين المسلمين. جميعها تدخل في أبواب الجدل الذي حرمه الله على ضيوفه أثناء الحج فهذه التربية الخلقية التي يبدؤها الحاج في موسم الحج تصبح سجية ملازمة لطبعه في حياته وسلوكه بعد الحج.

فذكر الله عند المشعر الحرام ،والصلاة في الحرم ، والوقوف في عرفات ،والطواف حول الكعبة ،والسعي بين الصفا والمروة جميعها سلوك أدائي أخلاقي يهذب النفس على المكارم والنظام والطاعة.. والكلام الطيب.

٦- التربية الروحية :

تربية النفس بالفضائل تقود إلى التربية الروحية بالصفاء والتقوى وطاعة الله، فتربية الروح أكثر علوا أو سموا من تربية النفس وأكثر اخلاصا وصفاء وتقوى.. لا يصل إليها إلا العابدون الراكعون الساجدون الخاشعون في صلاتهم.. إنها سمو بالروح، والروح هي غير النفس.. الروح لا يعلم كنهها إلا الله في قوله تعالى :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الإسراء ،٨٥).

بينما النفس أمارة للسوء تخالطها الشهوات ،وهي تموت ،ولكن الروح باقية وخالدة.. مصداقا لقوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ (ال عمران (١٨٥).

والارتقاء بالنفس يساعد في سموها ورقيها وانتصارها على الشهوات ،ولكن سمو

الـروح يصـل إلى صفـاء صاحبهـا لدرجـة مـن التقـوى تشـعره بسـعادة، هـذه السـعادة لا عـين رأت ولا أذن سـمعت ،ولا خطـرت ببـال بـشر.. إنهـا الطريـق الى عـالم الخلـود في جنـات النعيـم، وأول معـالم هـذه الطريـق الحـج المـبرور.. ومـن ثـم الخشـوع في الصـلاة ،وبشـكل منتظـم ثـم الصيـام وأداء الـزكاة.. والإكثـار مـن الصدقـات وعمـل الخـيرات والنوافـل تقرب الى الله ،وجميعهـا تهـذب الـروح للوصـول الى النقـاء والصفـاء.

هذا وبالله التوفيق

«أسرار الحج عند الحكيم الترمذي»

د. محمد عواد الخوالدة

التمهيد :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقال الله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٦-٩٧).

إن الحج فريضة من فرائض الدين، وركن من أركانه، ودعامة من دعائمه التي يقوم عليها، ومن هنا كان الحج عبادة يتقرب به المسلمون إلى مولاهم وخالقهم، فتصفو بها نفوسهم، وقلوبهم، وتزكو بها أفئدتهم في ظلال النفحات الربانية الإلهية، وترفرف أرواحهم مع نسمات الأنس والقرب من مولاهم، فتعم الأخوة الإيمانية بينهم، وتربط بينهم أواصر المحبة، رغم اختلاف الأقطار وتباعد الديار.

ويعد كتاب أسرار الحج للإمام الحكيم الترمذي من الكتب النفيسة والمهمة لمن أراد أن يسبر معاني الحج ، والتي أنقل لكم بعضا منها.

قال الذهبي عن الحكيم الترمذي في سير أعلام النبلاء : « الإمام، الحافظ، العارف،

الزاهد، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي.

وله حكم ومواعظ وجلالة وقدر - رحمه الله تعالى - ، ومن كلامه: ليس في الدنيا حمل أثقل من البر.

وقال: من جهل أوصاف العبودية، فهو بنعوت أوصاف الربانية أجهل. ( )

وتنازعوا في وفاته ـــ رحمه الله تعالى ـــ «واضطرب مؤرخوه في تاريخ وفاته، فمنهم من قال سنة ٢٥٥ ، وسنة ٢٨٥ هـ ، وينقض الأول أن السبكي يذكر أنه حدّث بنيسابور سنة ٢٨٥ كما ينقض الثاني قول ابن حجر: إن الأنباري سمع منه سنة ٣١٨».( )

أولا : من أسرار الحج في زمزم واشتقاقه وهي من الجنة.

السرّ في قول النبي - ﷺ- : « زمزم لما شربت له».

يقول مولانا الحكيم الترمذي: « زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ أنبطه الله له غياثا في وقت الاضطرار والإشراف على الموت بعدما كان يتمايل عطشا ، فبعث الله تعالى جبرائيل ـ عليه السلام ـــ ، فأدار بطرف جناحه على تلك البقعة ثم دفعها بعقبه دفعة ،فانفتقت عن الماء من عين من الجنة من قبل الركن الذي يستلمه الناس اليوم».

وأشار الإمام الحكيم إلى ملحظ دقيق ، وسر عميق في قول النبي عليه السلام:« زمزم لما شربت له» فكيف ذلك؟ فكما كانت غوثا لإسماعيل - عليه السلام - ، وجعلت غوثا لكل منيب رجع من ذنبه ولكل من وقع في نائبة ، فنواه وقصده وجد ذلك الغوث).

يقول - قدّس الله روحه - : عن أبي وليد القرشي قال: سمعت فاطمة بنت الحسين ـ رضي الله عنهما ـ تقول : لما أخذ الله ميثاق العباد جعله في الحجر، فمن الوفاء لله بالعهد استلام الحجر ، فكذلك ماء زمزم هو بهيئته على ما في الجنة من حلاوته ولذته ولونه إلا أنه ممتنع أن يوجد للشاربين تلك الهيئة التي فيه من الجنة لإغاثة ولد خليل الله -

عليهما السلام - ؛ لأن إبراهيم - صلوات الله عليه - لما ولى نادته هاجر يا إبراهيم إلى من تكلنا؟ قال :إلى الله تعالى، فكان خليل الله صادقا في قوله ، فوفى الله له بصدقه ، وأغاث ولده في وقت الاضطرار ،وبقي ذلك الغياث لمن بعده،

وذلك قول رسول الله - ﷺ- زمزم لما شربت له ، فالغياث أمر جامع ينعكس ويطرد من جميع الأمور ، فإذا ناب العبد نائبة كائنة ما كانت فنواه وقصده وجد ذلك الغوث فيه موجودا وإنما ينالـه العبد على قدر نيته»

الى أن يقول « فالشارب لزمزم إن شرب لشبع أشبعه الله ، وإن شربه لري أرواه الله ، وإن شربه لشفاء شفاه الله ، وإن شربه لسوء خلق حسنه الله ، وإن شربه لضيق صدر شرحه الله ، وإن شرب لانفلاق ظلمات الصدر فلقه الله، وإن شربه لغنى النفس أغناه الله ، وإن شربه لحاجة قضاها الله ، وإن شربه لأمر نابه كفاه الله ، وإن شربه للكربة كشفها الله ، وإن شربه لنصرة نصره الله ، وبأية نية شربها من أبواب الخير والصلاح وفى الله له بذلك ؛لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثا»( ) .

ثانيا : من أسرار الحج ماهية المباهاة في حديث " إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء"

يقول مولانا الحكيم الترمذي :« فموقف الحج موقف المباهاة موقف الإسلام، ألا ترى أنه يقال : حجة الإسلام ، وقف العبد ليسلم إليه رقبته عبودية ؛ ليتخذه عبدا ، فباهى الله به في سمائه ، ويباهي بهم ملائكته ، والمباهاة أن يريهم بهاء الإسلام الذي على عبيده في تسليمهم النفوس إليه معتذرين ملقين بأيديهم إليه سلما رافعي أيديهم إليه طمعا ، فيقول للملائكة انظروا إلى عبيدي فتلك المباهاة»( ) .

ثالثا : من أسرار اختلاف معنى الحج عن سائر الفروض.

يقول مولانا الحكيم الترمذي في بيان اختلاف الحج عن سائر الفروض: «ومعنى الحج غير معنى سائر الفرائض ألا ترى أنه قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران، ٩٧) ، فذكر بعقبه الكفر ، ولم يذكر في سائر الفرائض ؛ ليعلم أن معنى الحج

غير معنى سائر الفرائض.

فالصلوات لتكفير السيئات، قال تعالى:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ (هود،١١٤).

والصوم تطهير البدن وكف عن الشهوات ، أما الحج فيتعدى ذلك كله .... ثم ذكر شأن من يعظمه، فقال عز وجل : «ومَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِّ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» فاذا كان في القلب إيمان كان تقوى ، وإذا كان تقوى فهم أمر هذه الشعائر فعظمها»().

نلحظ مما سبق أن الحكيم الترمذي يبين أن شعائر الحج لها مكانتها الخاصة وتعظيمها الخاص ، ولها من التعظيم والاستعداد للنفوس نحو الهداية.

يقول ابن عربي : «ومن يعظّم شعائر الله»(الحج، ٣٢) من النفوس المستعدّة المسوقة نسائق التوفيق في سبيل الله ؛ليهدي بها لوجه الله، فإنّ تعظيمها بتحصيل كمالها من أفعال ذي القلوب المتقية المجرّدة عن الصفات النفسانية والهيئات الظلمانية.»

والحجّ يمثل أفضل مكان لتعارف الشعوب الإسلاميّة فيه ، حيث يتعرّف المسلمون على إخوانهم في الدين من شتّي أنحاء العالم، ويلتقون مع بعضهم في البيت الذي تتعلّق به كلّ المجتمعات الإسلامية من أتباع ابراهيم - عليه السلام - ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾(الحج، ٢٧)

وبنبذهم ما يميزهم من اللون والقومية والأصل، يعودون إلى أرضهم وبيتهم الأول وبمراعاتهم للأخلاق الإسلامية الكريمة، وتجنّبهم للجدال ومظاهر الزينة، يجسّدون صفاء الأخوة الاسلاميّة ومظهر وحدة الأمّة المحمديّة...

رابعا: من أسرار الحج أثر الوقوف في عرفات.

يقول الحكيم الترمذي: « وعرفة : موضع الاستئذان ؛ليؤذن له في دخول حرمه، وطواف بيته ، وهو أساس الحج، وعليه مدار الأمر ».

ويقول في موضع آخر : « وعرفة مشتق من فعله ، وذلك أنه تعرف إلى ربه لينجزه وعده ، ويغفر له ما سلف» ( ) .

فيكفي في فضل عرفات أنه أرادك في هذا الموضع كما ذكر الإمام القشيري - رحمه الله تعالى - :قوله جل ذكره: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (البقرة،١٩٨) الإشارة فيه إذا وقفت حتى قمت بحق طلبه فاذكر فضله معك فلولا أنه أرادك لما أردته، ولولا أنه اختارك لما آثرت رضاه. ( )

خامسا: من أسرار الحج «حج الفرض وحج القرب».

يرى الحكيم الترمذي أن الحج على مسلكين: الأول حج بالبدن والمال ، والثاني: حج بالقرب والمشاهدة .

يقول قدّس الله سرّه: « وأما الحج بأمر الله تعالى فحج الفرض، وحج القرب هو حج المشاهدة مع تمكين الحكم ، وحج الفرض سعي الأبدان والأموال وأما حج القرب فهو سعي القلب والروح معا، والحج بالله الى الله كما قيل « اذا قصدت فقد وصلت »فالحاج بفد بقلبه الى ربه ، ثم بجسده بعد ذلك»

ويتحدث الحكيم الترمذي عن القصد الذي هو سر الحج وأنه على ثلاثة أوجه الأول: ترك الخلاف فيما بينك وبين الله ويقصد بذلك ترك الذنوب

والوجه الثاني: ترك الخلاف فيما بينك وبين الخلق وذلك بالرفق بهم والثالث : ترك الخلاف فيما بينك وبين نفسك ، وذلك بترويضها على الخلق الحسن.

ولا بد للوصول إلى حج القرب أن تقطع الأوطان بجسدك فيزدادون كل يوم قربا من الميقات، ثم تحتاج النفس الى أن تقطع مراحل الأحوال الى محول الأحوال سبحانة وتعالى. ( )

قلت : وما ذكره الحكيم قريب جدا مما ذكره حجة الاسلام أبو حامد الغزالي من أن حج الفرض وحج القرب كلاهما يراد بهما التجرد للخالق من جميع الشهوات الظاهرة والباطنة والتعلق به وحده : « اعلم أن أول الحج : الفهم « أعني فهم موقع الحج في

الديـن » ثـم الشـوق إليـه ، ثـم العـزم عليـه ، ثـم قطـع العلائـق المانعـة منـه ، ثـم شراء ثـوب الإحـرام ، ثـم شراء الـزاد ، ثـم اكـتراء الراحلـة ، ثـم الخـروج ثـم المسـير في البادية ، ثـم الإحـرام مـن الميقـات بالتلبيـة ، ثـم دخـول مكـة ، ثـم استتمام الأفعـال كـما سـبق ، وفي كل واحـد مـن هـذه الأمـور تذكـرة ... وعـبرة ... وتنبيـه ... وتعريـف وإشـارة... أمـا الفهـم : اعلـم أنـه لا وصـول إلى الله سـبحانه وتعـالى إلا بالتنـزه عـن الشـهوات « والتجـرد لله سـبحانه مـن جميـع الحـركات والسـكنات » ( )

سادسا: من أسرار الحج التوجه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه.

عنـون الحكيـم الترمـذي في آخـر كتابـه أسرار الحـج بلفتـة إلى أهميـة زيـارة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم ،وفضـل المسـجد النبـوي عـلى سـاكنه أتـم الصـلاة والتسـليم وعـد ذلـك سرا مكمـلا مـن أسرار الحـج ،يقـول رحمـه الله تعـالى: » ثـم يتوجـه الى النبـي – عليـه الصـلاة والسـلام – ويسـلم عليـه وعـلى صاحبيـه – رضي الله عنهـما –، ويحسـن الظـن بـالله تعـالى أنـه ربـما يبعثـه في قبلتهـم مغفـورا لـه مكرمـا ، ويطـوف بـسره تحـت أسرارهـم وبظاهـره تحـت ظواهرهـم في سـائر الفرائـض والحقـوق التـي عليـه اتباعـا واقتـداء الى أن يأتيـه المـوت اليقـين ( ) .

وعـدّ الأحنـاف زيـارة قـبر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم بعـد الفـراغ مـن الحـج مـن أفضـل المندوبـات الى الله تعـالى ، قـال صاحـب الاختيـار : «ولمـا جـرى الرسـم أن الحجـاج إذا فرغـوا مـن مناسـكهم ، وقفلـوا عـن المسـجد الحـرام قصـدوا المدينـة زائريـن قـبر النبـي (صـلى الله عليـه وسـلم) ، إذ هـي مـن أفضـل المندوبـات والمسـتحبات ، بـل تقـرب مـن درجـة الواجبـات ، فإنـه صـلى الله عليـه وسـلم حـرض عليهـا ، وبالـغ في النـدب إليهـا ، فقـال : « مـن وجـد سـعة ولم يـزرني فقـد جفـاني » وقـال عليـه الصـلاة والسـلام : « مـن زار قـبري وجبـت لـه شـفاعتي »( ) .( )

الخاتمة

ذكـر الحكيـم الترمـذي في كتابـة أسرار الحـج كثـيرا مـن الأسرار العظيمـة ، والتـي تحتـاج الى اسـتحضار القلـب قبـل البـدن في التعـرف عـلى قيمـة هـذه الفريضـة العظيمـة ،ويسـتحق هـذا الكتـاب أن يجـد مزيـدا مـن الاهتـمام عنـد طلبـة العلـم، وكل مـن أراد التوجـه الى بيـت الله الحـرام .

والله ولي التوفيق

والحمد لله رب العالمين

أسرار الطواف حول الكعبة المشرفة

الدكتور غالب الزعارير

مدير أوقاف عمان الأولى

الحمد لله الذي خلق فسوى ،والذي قدر فهدى الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يتذكر أو أرد شكوراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه الأخيار الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فيقول تعالى:﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(الحج، ٢٦-٢٧).

لقد شاءت إرادة الله تعالى أن يرفع ابراهيم واسماعيل - عليهما السلام - القواعد من البيت العتيق ليكون (مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ) ، ومكاناً آمناً تؤى إليه قلوب المؤمنين ، وأفئدتهم وقبلة للناس يحجون إليه ويعتمرون، ويطوفون حوله ، ويدعون ربهم رغباً ورهباً دون فتورٍ أو انقطاع.

قال تعالى :﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(آل عمران،٩٦)

(وبكة) قيل: تعبيراً عن الرحمة، وقيل : الزحام الذي حول الكعبة، وقيل: تبك أعناق الجبابرة، أي: تدقها ، فلم يقصدها من جبار إلا قصمه الله تعالى .

وقال الله تعالى :﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة،١٢٥).

«مَثَابَة»: موضع ثواب يثاب الحجاج والمعتمرون بزيارته، وقد أوحى الله تعالى إلى إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - بتطهير هذا البيت من الأوثان ، ومما لا يليق به، وما زال هذا البيت قائماً مرفوعاً طاهراً آمناً ينبض بالإيمان والذكر والدعاء يطوف المسلمون حوله بالليل والنهار على مر السنين ، وتعاقب الأيام.

وقوله تعالى : ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ يعني حوله، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ أي: المقيمين عنده أو المعتكفين فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ المصلين .

ودعا إبراهيم - عليه السلام - ربه أن يجعل البيت مهوى الأفئدة حيث قال تعالى:﴿ ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(إبراهيم،٣٧).

فاستجاب الله تعالى دعاء إبراهيم - عليه السلام فجعل أفئدة المؤمنين تهوي الى البيت العتيق ، وتنجذب بالطواف حوله ، وبالصلاة نحوه باختيارهم ، وإرادتهم وتوفيق ربهم لهم .

ولما كان الطواف عكس عقارب الساعة ، فإن القلب يكون بذلك أقرب إلى الكعبة المشرفة ، فحتى القلب يقترب من الكعبة حساً وإحساساً متعلقاً بها، فإذا لمس الحاج أو المعتمر أو الطائف الكعبة المشرفة بيده تحرك قلبه معها تعبيراً عن الإيمان الذي فاض به الفؤاد.

ويلاحظ أن الطواف بالبيت سبعة أشواط، والسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ورمي الجمرات سبعة، ويلحظ أيضاً أن رقم سبعة (٧) يتكرر في مواطن أخرى ، فسورة الفاتحة سبع آيات، وأيام الأسبوع سبعة، وامتحان يوسف عليه السلام

سبع، والسجود على سبعة أعضاء، وتكبيرات العيد في الركعة الأولى سبع، وضرب المثل بالنفقة بسبعة، والسماوات سبع ومن الأرض مثلهن قال تعالى :﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾(الطَّلَاق ،١٢) .

ومن خصوصيات المسجد الحرام أن تحيته الطواف، خلافاً لتحية المساجد فيسن الصلاة فيها تحية لها عند دخولها، وهذه خصوصية للكعبة المشرفة فقط، فلا طواف حول إنسان مهما علت رتبته وقدره ولا مكان في الأرض سوى الكعبة وبين الصفا والمروة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(١٥٨،البَقَرَة)

فضلا عن أن طواف المسلمين حول الكعبة يشبه طواف الملائكة في السماء.

فقد ورد أن البيت المعمور في السماء يوازي الكعبة المشرفة في الأرض، وقد أقسم الله تعالى به في كتابه حيث قال تعالى :﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾(الطور،٤).

قال الإمام ابن جرير الطبري: والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته ،وهو بيت فيما ذُكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض، يدخله كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبدا.

والذي يظهر من اسمه أنه معمور بالطائفين والذاكرين والمسبحين لله تعالى وجاء ذكر هذا البيت في القرآن الكريم في معرض القسم تشريفاً وتكريماً لهذا البيت المعمور، قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾(الطور،١-٤).

وقد ورد عن رسول الله - ﷺ أنه قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: « ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفا لا يعودون

إليه ... يعني : يتعبدون فيه ويطوفون ، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك البيت المعمور فهو كعبة أهل السماء السابعة ، فشرف الله تعالى إبراهيم الخليل - عليه السلام - بإسناد ظهره إلى البيت المعمور تشريفاً له وتكريماً كما شرفه ببناء الكعبة في الأرض ، والجزاء من جنس العمل ، وهو بحيال الكعبة ، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ، ويصلون إليه ، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة . والله أعلم .

وعن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - قال : « في السماء السابعة بيت يقال له : المعمور» بحيال الكعبة.

فالملائكة تطوف في السماء السابعة حول البيت المعمور، والناس يطوفون في الأرض حول أقدس وأطهر بقعة بالبيت العتيق فيشترك أهل الأرض مع أهل السماء بتسبيحهم لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي خضعت له الرقاب والأعناق ، ودانت له البلاد والعباد يوحدونه تعالى ويسبحونه ويذكرونه.

والناس يأتون البيت الحرام من كل فج عميق يرجون رحمة الله تعالى ، ويخافون عذابه، تركوا الدنيا وما فيها من شهوات وملذات وتجردوا منها ملبين نداء الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج : ٢٧).

ومن الجدير بالذكر الحديث عن التناسق والتناسب الذي يتجلى في أبهى صوره بين الصلاة والطواف، فقبلة المصلي الكعبة المشرفة، والطواف لا يكون إلا حول الكعبة المشرفة، ويشترط في الصلاة طهارة المسلم من الحدثين ، وهذا شرط أيضاً بالطواف، فضلا من أن السجود في الصلاة على سبعة أعضاء ، والطواف بالبيت سبعة أشواط، والصلاة تبدأ بانتظام وبتكبيرة الإحرام ، والطواف يبدأ بانتظام ، ومن الحجر الأسود (بسم الله والله أكبر)، ويؤيد ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا ومرفوعا عن

النبي ﷺ: «الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله تعالى أباح الكلام فيه، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير» .

وفي لفظ: «الطواف مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير»

ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث فضيل بن عياض، عن عطاء بلفظ «الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أحل فيه النطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير» .

والطواف حول الكعبة ركن أساسي من أركان الحج والعمرة ويسن أن يرمل الحاج أو المعتمر في الأشواط الثلاثة الأولى مع تقارب الخطوات ومع الاضطباع: بحيث بجعل وسط ردائه تحت كتفه الأيمن وطرفه على كتفه الأيسر، يبدأ من الحجر الأسود بحيث يكون البيت على يسار الطائف، ويسن لمن يطوف أن يستلم الحجر الأسود ويلمسه بيده ويقبله، فإن لم يقدر استلمه بيده فقط، فإن لم يقدر أشار إليه تجنباً للزحام الذي قد يتسبب بإيذاء الآخرين.

وأما الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى في طواف القدوم، فيشير إلى معان جميلة ، وحكم عظيمة، فقد جاء في الصحيحين أنه لما قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ وأصحابُهُ فقالَ المشرِكونَ: إنَّهُ يقدُمُ عليكُم قومٌ قد وَهَنتهم حُمَّى يثربَ ، فلَمَّا قدِموا قعدَ المشرِكونَ مِمَّا يلي الحَجرَ فأمرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ أن يرمُلوا الأشواطَ الثَّلاثةَ ، وأن يمشوا ما بينَ الرُّكنينِ قالَ ابنُ عبَّاسٍ ولم يمنعْهُ أن يأمرَهُم بأن يَرمُلوا الأشواطَ الأربَعةَ إلَّا الإبقاءَ عليهِم) .

وفي الرمل والاضطباع أيضاً إظهار لقوة وعزيمة الطائفين من الحجاج والمعتمرين والمتطوعين ، وتعبيراً عن القوة والحيوية التي فاضت بها قلوبهم وأرواحهم وأجسادهم رغم الجهد الذي بذلوه ، والمال الذي بذلوه ابتغاء مرضاة الله تعالى ؛ ليتزودوا بزاد التقوى ، وليلبوا دعوة أبينا إبراهيم - عليه السلام - حين خاطبه رب العزة بقوله

تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(الحج، ٢٧).

وبالطواف تتجلى مظاهر الوحدة والمساواة بين المسلمين، فالجميع يطوفون في صعيد واحد ، دون تمييز بينهم على اختلاف بلدانهم، وجنسياتهم ولغاتهم يلهجون بالذكر والدعاء ، طاهري القلوب والأبدان والثياب إذا نظرت إليهم من بعيد حسبتهم جسداً واحداً بقلب واحدٍ.

وهذا عمل يحبه الله ورسوله ، ويفرح له ويُسر به المؤمنون في كل زمان ومكان، ويغيظ الأعداء والمتربصين بالأمة ، فالناس جاءوا من كل فج عميق وحدهم تلاقت أرواحهم وقلوبهم وأجسادهم في هذه البقاع المباركة يطوفون حول أقدس وأطهر مكان ، وأقدم بيت بني لله تعالى على الأرض قاطبة يتراحمون ويتنافسون في أعمال البر والإحسان قدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الذين قال الله تعالى عنهم :﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(الفتح، ٢٩) .

فيبدأ الطائف بكلمات وأدعية تدل على التعلق برب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، كلمات تدل على التوحيد الخالص لله تعالى (بسم الله والله أكبر إيماناً بك وتصديقاً بكتابك واتباعاً لسنة بيتك)، وإذا تعذر تقبيل الحجر الأسود يلمسه ،ويشير إليه بيده ويقول : (بسم الله والله أكبر) ويقول عند باب الكعبة :(اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك، وهذا مقام العائذ بك).

ويستحب أن يستلم الركن اليماني كلما مر عليه في الطواف ، وذلك بمس الركن بكفيه

أو بيمينه ، وإذا تعذر عن ذلك ، فبالإشارة، ويستحب أن يقول الطائف أيضاً بين الحجر الأسود والركن اليماني ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة).

وسيبقى الناس يطوفون حول هذا البيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - ويأتون إليه من كل أقطار الأرض رجالاً وركباناً حتى تقوم الساعة.

ومن أمعن النظر في البيت العتيق ، وما فيه من الآيات والدلالات يدرك تماماً الأسرار العجيبة والمعاني العظيمة التي تدهش الناس وتلفت الأفهام والعقول والقلوب إلى مدى القدرة الربانية والعناية الإلهية لهذا البيت الذي بقي شامخاً مرفوعاً مطهراً منزهاً عامراً بزواره ورواده ، والذي صار رمزاً لوحدة الأمة وتلاقيها ، فلا حج ولا عمرة إلا بالطواف حوله، ولا قبلة غيره، حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء

قال تعالى ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران،٩٧).

والحمد لله ربِّ العالمين

تعريف الحاج والمعتمر بالأماكن الدينية والتاريخية من يرموك الكرامة وحتى وداع البيت العتيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا تعريف موجز مختصر بأهم الأماكن والمواقع التاريخية والدينية التي يمر بها الحاج والمعتمر من اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية، وحتى مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية.

منها ما يتعلق بالغزوات والفتوحات الإسلامية التي قدم فيها الصحابة - رضي الله عنهم - الغالي والنفيس، وارتحلوا من ديارهم ، ووصلوا إلى مشارق الأرض ومغاربها نصرة لدين الله، ففتح الله تعالى بهم قلوب العباد والبلاد.

وبعض الأماكن والمواقع رغبت الشريعة الإسلامية بزيارتها، وشد الرحال إليها، وقد ضاعف الله تعالى الأجر والثواب لمن أراد الصلاة فيها كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى .

ومنها ما يتعلق بالحضارة الإسلامية الزاخرة كالقصور والمساجد التي تميزت ببنائها وتشييدها وفق الطراز المعماري الإسلامي الأصيل، وفيما يلي عرض موجز لأهم هذه الأماكن:

معركة اليرموك

وقعت معركة اليرموك في سنة ١٥هـ بين المسلمين والروم، وتعد معركة مفصلية في التاريخ الإسلامي، وآذنت بالتقدم السريع في بلاد الشام.

تولى خالد بن الوليد ـــ رضي الله عنه ـــ القيادة العامة في الجيش بعد تنازل أبي عبيدة ـــ رضي الله عنه ـــ ، وكان عدد جيش المسلمين ٣٦ ألف مقاتل، وأما جيوش الروم ، فكانت تبلغ ٢٤٠ ألف مقاتل ، واستمرت المعركة ستة أيام، في الأيام الأربعة الأولى كان المسلمون فيها يردون هجمات الروم ، وكانت خسائر الروم أكثر من خسائر المسلمين ثم تحولت خطة خالد بن الوليد - رضي الله عنه - من الدفاع إلى الهجوم حتى حقق نصرا مؤزرا للإسلام والمسلمين.

مقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل . رضي الله عنه .

الصحابي الجليل معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري، أحد الحفظة لكتاب الله تعالى حيث قال عليه الصلاة والسلام: (خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة) .

وكان - رضي الله عنه ـ من أعلم الصحابة بالحلال والحرام كما قال ﷺ:« وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» .

ولما أصيب أبو عبيدة ـــ رضي الله عنه ـــ ، وكان أحد قادة الجند في بلاد الشام بطاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل - رضي الله عنه -، فمات في الطاعون نفسه وعمره ٣٨سنة، ودفن - رضي الله عنه- في الأغوار الشمالية في الأردن.

مقام سيدنا شعيب عليه الصلاة والسلام

ذكر سيدنا شعيب في القرآن الكريم(١١) مرة، بعثه الله تعالى إلى أهل مدين حيث قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا ما لكم من إله غيره﴾(الأعراف،٨٥).

وكان أهل مدين أهل تجارة ، وكانوا يتعاملون مع الناس بالغش ، فحذرهم نبيهم من ذلك فلم يأبهوا بما يقول:﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾(هود،٨٤).

ولكنهم قابلوا دعوة شعيب - عليه الصلاة والسلام - بالتهكم والجدل والتكذيب ، فاستحقوا العقاب من الله تعالى:﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾(هود،٩٤).

وأما مقام سيدنا شعيب - عليه الصلاة والسلام- فهو في محافظة البلقاء في وادي شعيب.

عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية

ذكرت عمان في حديث النبي ﷺ: «حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ البَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ».

وفي رواية أن النبي - عليه الصلاة والسلام - سئل عن عرض هذا الحوض وسعته، فقال:«من مقامي إلى عمان» .

وفتحت عمان في عهد أبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ ، وازدهرت في العصر الأموي عندما أقاموا فيها القلاع، وبني فيها معمل لضرب النقود.

مئذنة القسطل

القسطل بالفتح، ثم السكون، وطاء مفتوحة، في لغة أهل الشام: الموضع الذي تفترق منه المياه ، وقسطل: موضع بين البلقاء ودمشق، في طريق المدينة.

وفيها مبنى أو برج مرتفع طويل يكون ملحقا بالمساجد، والقصد من بنائه إيصال الأذان للمسلمين، ودعوتهم للصلاة، وتقع قرية القسطل جنوب العاصمة الأردنية عمان على بعد ٢٥ كم، وهناك يقع قصر أموي بني في آخر القرن الأول الهجري في عهد عبد

الملك بن مروان وفيه مسجد .

وكانت القسطل من جملة المواقع التي وضعها الملوك والأمراء لخدمة الحجاج إلى بيت الله الحرام .

الجيزة

تقع الجيزة جنوب العاصمة الأردنية عمان على بعد ٣٥ كم، وكانت تسمى زيزاء، وهي المكان المرتفع.

وكانت إحدى محطات قوافل الحج حيث كان الحجيج يقيمون بها للراحة والتزود بما يلزمهم من الطعام والشراب، وما زالت الجيزة حتى وقتنا الحاضر استراحة للحجاج والمعتمرين الذين يقصدون بيت الله الحرام، وفي كل عام تقيم وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية حفل وداع لحجاج بيت الله الحرام من هذه المنطقة، وفي الجيزة محطة من محطات سكة حديد الحجاز.

مؤتة

وهي إحدى القرى الأردنية تقع في محافظة الكرك جنوب العاصمة عمان، وبها وقعت غزوة مؤته في السنة الثامنة من الهجرة النبوية ، جهز النبي ﷺ جيشا قوامه ثلاثة ألف مقاتل ،وأمر رسول الله ﷺ على هذا البعث زيد بن حارثة، وقال: إن قتل زيد ، فجعفر، وإن قتل جعفر، فعبد الله بن رواحة.

وفي مؤتة التقى الفريقان، ثلاثة آلاف رجل يواجهون مائتي ألف مقاتل. أخذ الراية زيد ابن حارث- حب رسول الله ﷺ- وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة حتى قتل.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه - ، وطفق يقاتل قتالا منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعا إياها حتى قتل.

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ، وتقدم بها، وهو على فرسه فقاتل حتى قتل.

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية قاتل قتالا مريرا، ونجح في الصمود أمام جيش الرومان، فلما أصبح اليوم الثاني غير أوضاع الجيش، وعبأه من جديد، فجعل مقدمته، ساقة، وميمنته ميسرة، وعلى العكس، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا، وصار خالد- بعد أن تراءى الجيشان، وتناوشا ساعة- يتأخر بالمسلمين قليلا قليلا، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظنا منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمي بهم في الصحراء.

وهكذا انحاز العدو إلى بلاده، ولم يفكر في القيام بمطاردة المسلمين، ونجح المسلمون في الانحياز سالمين، حتى عادوا إلى المدينة .

مقام الصحابي الجليل الحارث بن عمير الأزدي

من أوائل الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ على أرض الأردن، أرسله النبي عليه الصلاة والسلام بكتابه إلى ملك بصرى الشام، وقيل: إلى هرقل عظيم الروم، فلما وصل إلى أرض مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فأوثقه رباطا، ولم يثنه تعذيب الغساني عن مواصلة دعوته بشجاعة وإقدام، فضربت عنقه، وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، ولم يقتل لرسول الله - ﷺ - رسول غيره، ، فوصل الخبر إلى النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ، فاشتد عليه الأمر حتى أرسل إليهم اللواء الأبيض ، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ، ويدعوا من هناك إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله تعالى. فكان ذلك سبب خروجهم إلى غزوة مؤتة.

ودفن الحارث بن عمير الأزدي في منطقة بصيرا في محافظة الطفيلة جنوب المملكة الأردنية الهاشمية.

معان

تقع محافظة معان جنوب العاصمة الأردنية عمان على بعد ٢١٨ كم تقريبا، وكان النبي ﷺ، بعث جيشا إلى مؤتة حتى بلغوا معان، فأقاموا بها ، وأرادوا أن يكتبوا إلى النبي - ﷺ - عمّن تجمع فيها من الجيوش ، فنهاهم عبد الله ابن رواحة .

وكان فروة بن عمرو الجذاميّ عاملا للروم على معان وما يليه من أرض الشام، فأسلم وأهدى لرسول الله - ﷺ - بغلة بيضاء، فلمّا بلغ الروم ذلك طلبوه حتّى ظفروا به، فحبسوه، ثم قتلوه وصلبوه.

وفي معان كان الحجاج يودعون فيها أمتعتهم ؛ ليأخذوها إذا رجعوا ، ويتزود الحجاج منها ما يحتاجون من قوت وعلف دواب...

أذرح

إحدى القرى الأردنية التي تقع في محافظة معان جنوب العاصمة الأردنية عمان، فتحت في حياة النبي - ﷺ - في السنة التاسعة للهجرة صلحا لما حل جيش المسلمين في أرض تبوك ، وعلم جنود الروم بكثرة جنود الإسلام ، وتضحيتهم النادرة فقرروا أن ينسحبوا إلى داخل بلادهم، وعدم مواجهة المسلمين، وهناك خشي الولاة والحكام في المناطق المجاورة على أنفسهم، فاتصلوا برسول الله - ﷺ -وكتب لهم أمانا ، وبذلك فتحت البلاد سلما.

وفي صدر الفتوحات الإسلامية دخلت الجيوش الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة أذرح ، واتخذها محطة لجنده ، وطريقا للقوافل ، ونقل الحجاج إلى الديار المقدسة.

وفي الصحيح : « أمامكم حوضي كما بين جرباء إلى أذرح».

جبل التحكيم

هو الجبل الذي جرى عليه التحكيم بين مبعوثي الصحابيين علي بن أبي طالب

ومعاوية بن أبي سفيان ـــ رضي الله عنهما ـــ ، وذلك بعد معركة صفين عام ٣٧ ه ، ويقع هذا الجبل في أذرح على بعد ٢٢ كم من مدينة معان .

وعاش في الحميمة كثير من العلماء والخلفاء والقادة العباسيين.

تبوك

تعد مدينة تبوك البوابة الشمالية للمملكة العربية السعودية، وطريقا حيويا للتجار والحجاج والمعتمرين من خارج شبه الجزيرة العربية ، وبها وقعت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة.

وكان سبب هذه الغزوة أن هرقل أظهر قصد رسول الله - ﷺ - بنفسه، فقال النبيّ - ﷺ - : تهيّئوا لغزاة الروم ،وذلك في شدة الحر ، وقد طابت الظلال ، وأينعت الثمار ، وما خرج رسول الله - ﷺ - في سفر إلّا يورّي بغيره إلّا تبوك، فإنه أفصح بها ، وبينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان ، وكثرة العدد ، وأمر الناس بالنفقة ،وخرج رسول الله في ثلاثين ألفا منهم عشرة آلاف فارس ،وخلف عليا ـــ رضي الله عنه ـــ في أهله ، فقال رجل: ما خلفه إلا استثقالا له. فلما سمع علي ـــ رضي الله عنه ـــ أخذ سلاحه ، ومضى حتى أدركه ، فذكر قول الناس، فقال له - عليه الصلاة والسلام - : أما ترضى يا أبا الحسن أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فرضي علي ـــ رضي الله عنه ـــ ورجع ، وسار النبي ﷺ حتى أتى تبوك ، وقد تفرقت جموع هرقل ، فلم يلق كيدا ، وبعث من تبوك خالد بن الوليد ـــ رضي الله عنه ـــ إلى دومة الجندل.

خيبر

تبعد خيبر عن المدينة المنورة ١٦٥كم شمالا على طريق الشام، وهي مدينة مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير، والخيبر: الحصن، ولذلك سميت بخيابر ؛ لكثرة حصونها. وقيل: سميت بخيبر أخي يثرب ابني قانئة ، ولما نزل رسول الله ﷺ على

خيبر في سنة سبع، وكان الله تعالى وعده إياها في قوله عز وجل: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه﴾يعني صلح الحديبية والمغانم فتح خيبر، ولما أشرف عليهم رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « قفوا »، ثم قال: « اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين، وما أقللن ورب الشياطين ، وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها ثم قال:«اقدموا بسم الله »، ولما رأى عمال خيبر رسول الله ﷺ قالوا: محمد والخميس معه، فأدبروا هراباً، فقال رسول الله ﷺ: « الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »، وذلك لسنة سبع..

وأراد أن يجلي أهل خيبر فقالوا: دعنا نعمل في هذه الأرض ، فإن لنا بذلك علما، فأقرهم وعاملهم على الشّطر من التمر والحب، وقال: نقركم على ذلك ما شئنا أو ما شاء الله، فكانوا بها حتى أجلاهم عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ بعد ذلك.

وادي القرى

وادي القُرَى جمع قرية، وهو وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة المنورة، وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سُمّي وادي القُرى.

قال أبو المنذر: سُمّي وادي القُرى؛ لأنَّ الوادي من أوَّله إلى آخره قُرىً منظومة.

وقال أبو عبيد الله السكوني: «وادي القُرى والحِجْر والجناب، يمرُّ بها حاج الشام، وكانت قديماً منازل ثمود وعاد، وبها أهلكهم الله، وآثارها إلى الآن باقية »٣.

ولَّما فرغ رسول الله – ﷺ – من خيبر في سنة سبع، امتدَّ إلى وادي القرى، وفتحها عنوة، ثُمَّ صُولِحُوا على الجزية.

وكان يسكن الوادي ناس من ولد جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وقد غلبوا عليه، ويُعْرَفون بالواديّين.

وقال الشاعر

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادِي القُرَى إنِّي إذاً لَسَعِيدُ .

ويُعْرَف وادي القُرى اليوم ب «العُلا» ، وهي مدينة عامرة شمال المدينة النبوية على قرابة «٣٥٠» ميلاً، كثيرة المياه والزرع والأهل، وهي ملاصقة للحجر ديار ثمود، متَّصِلة بها اتِّصالاً تامّاً، لا يفصِلُ بينها وبين المدائن حدود ولا جبال.

وسبب تسميتها ب «العُلا» أنَّها قامت على أنقاض قصبة وادي القُرى المُسَمَّى «قُرح»، وهو موضع كان بالوادي من صدره، فغلب عليه اسم العُلا؛ لأنه أعلى الوادي، وكانت «قُرح» سوقاً مشهورة من أسواق العرب في الجاهلية، وفيها مسجد قُرح الذي بناه رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك، وهو مسجد العُلا اليوم.

جبل أحد:

جبل أحد يطل على المدينة المنورة من الجهة الشمالية، وهو أقرب الجبال إليها ، ويبعد عن المسجد النبوي ٤ كم ، ورد ذكره في حديث النبي ﷺ:(أحد جبل يحبنا ونحبه). .

أما سبب تسميته بأحد فهو توحده عن الجبال التي حوله وانقطاعه عنها، ، وبه كانت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة، وذلك أن قريشا تجمعت لقتاله عليه الصلاة والسلام في ثلاثة آلاف رجل، والمسلمون ألف رجل، فانخزل عبد الله بن أبي سلول في ثلاثمائة.

وقال النبي ﷺ للرماة: «لا تتغيروا من مكانكم، فلما تغيروا هزموا» وقتل من المسلمين سبعون، منهم حمزة – رضي الله عنه – بحربة وحشي .

وأصيب – ﷺ – ، وشجّ جبينه، وكسرت رباعيته برمية عبد الله بن قميّة ، وضربه بالسيف على شقه الأيمن، فجرح وجنته ، ودخلت فيه حلقتان من المغفر ، ووقع في حفرة ، ولم يثبت معه – عليه الصلاة والسلام – يومئذ إلا أربعة عشر رجلا،

وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا .

الخندق:

كانت وقعة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة لما أجلى رسول الله - ﷺ - بني النضير، وسميت بذلك لحفر النبي - ﷺ - الخندق بإشارة سلمان الفارسي - رضي الله عنه - ، وتسمى بالأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين ومن اليهود فيها على الحرب، وكانت عدتهم عشرة آلاف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف.

قال ابن إسحاق: ولم يقع بينهم حرب إلا مراماة بالنبل، ولم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة أو خمسة.

ثم بعث الله عليهم الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته، ولا إناء إلا أكفته، لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء، فقام أبو سفيان ،فقال: يا معشر قريش، والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، فتحملت قريش، وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم، وقال - ﷺ - : «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا».

وكانت في حفر الخندق آيات منها الكدية التي اشتدت عليهم في الخندق، فشكوها إلى رسول الله - ﷺ - ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية، فانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاً.

فضل المدينة المنورة

شرف الله تعالى المدينة المنورة ، وجعلها خير البقاع بعد مكة المكرمة ، وقد وردت كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين فضلها ومكانتها

وقد جعلها الله تعالى حرمًا آمنا كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رضي اللهُ عنه - : أَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، »

وعن عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ - رضي اللهُ عنه - : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ».

وسَمَّاهَا النبي ﷺ طَيْبَةَ وَطَابَةَ، فعن فَاطِمَةَ بِنتِ قَيسٍ - رضي اللهُ عنها - أن النبي - ﷺ - قال: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ»

وفي رواية البخاري: «هَذِهِ طَابَةُ»، قال ابن حجر - رحمه الله - : «والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيب، وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيب ساكنها، وقيل : من طيب العيش بها، ودعا النبي - ﷺ - بالبركة للمدينة المنورة فقال: (اللَّهمَّ بارك لنا في مدينتنا) .

المسجد النبوي

كان المسجد النبوي في عهده - ﷺ - مبنيا باللبن ، وكانت عمده من جذوع النخل، وسقفه من الجذوع والجريد، فعن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بني النجار، قال: فقال: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا» ، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى، وكان فيه نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر رسول الله - ﷺ - بالنخل فقطعت، وبقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت؛ قال: فصفّوا النخل قبلة وجعلوا عضادتيه حجارة، وكان ﷺ كان ينقل معهم اللبن في بنائه: .

والمسجد النبوي أحد المساجد المشرفة التي تشدّ إليها الرحال في الأرض، فقد قال ﷺ: «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس» .

وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف

صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» .

وفيه الروضة المباركة ؛ التي قال عنها النبي - ﷺ - :«ما بَين بَيتِي ومِنبَرِي رَوضةٌ من رِياضِ الجنَّة،» .

مسجد قباء

قباء: بالضم: وأصله اسم بئر هناك، عرفت القرية بها، وهي قرية على ميلين من المدينة المنورة على يسار القاصد إلى مكة المكرمة.

كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول اللهَّ - ﷺ - ومن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجدا يصلون فيه الصلاة إلى البيت المقدس، فلما هاجر رسول اللهَّ - ﷺ - ، وورد قباء صلى بهم فيه ، وأقام لما هاجر بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وركب يوم الجمعة يريد المدينة ، وأهل قباء يقولون: هو المسجد الّذي أسس على التقوى من أول يوم، وقيل: إنه مسجد رسول اللهَّ ﷺ، وقد وسع مسجد قباء وكبر بعد ذلك ، وكان ذلك مصلى رسول اللهَّ ﷺ.

وقد ضاعف الله تعالى الأجر والثواب لمن يريد هذا المسجد للصلاة فيه، فقال عليه الصلاة والسلام: (من توضأ وأسبغ الْوُضُوءَ، وَجَاءَ مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، كَانَ لَهُ أَجْرُ عُمْرَةٍ) .

وعن ابن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ ، قَالَ: كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ يَؤُمُّ المهاجرين الأولين من أصحاب رسول الله فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما.

مسجد القبلتين

يقع مسجد القبلتين في الشمال الغربي من المدينة المنورة، وسمي بهذه التسمية ؛لأن نفرا من بني سلمة كانوا يصلون الظهر في المسجد، فأتاهم آت فأخبرهم أن القبلة قد حولت فاستداروا حتى حولوا وجوههم نحو الكعبة من أجل ذلك سمي بمسجد القبلتين. وكان يسمى قبل ذلك بمسجد بني سلمة.

ذو الحليفة(المعروف بآبيار علي)

ذو الحليفة بضم الحاء وفتح اللام ، وهو ميقات الإحرام لأهل المدينة ، والذين يمرون عليه من غير أهلها، ويبعد عن المسجد النبوي أربعة عشر كيلو مترا، وكان منزل رسول الله - ﷺ - إذا خرج من المدينة لحجّ أو عمرة؛ فكان ينزل تحت شجرة في موضع المسجد، الذي بذي الحليفة اليوم، فإذا قدم راجعا هبط بطن الوادي وبات فيها حتى يصلّي الصّبح. فالمسجد الأكبر الذي يحرم الناس منه هو مسجد الشجرة.ومن الشجرة كان يهلّ بالحجّ ، وهناك كان يقلّد الهدى.

بدر

موضع بين مكة والمدينة يبعد عن مكة المكرمة ٣٤٣ كم ، وعن المدينة المنورة فيبعد عنها ١٥٣ كم ، وهو ماءٌ مشهورٌ، يُنْسَبُ إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كِنَانَة. وقيل: بل هو رجلٌ من بني ضمرة، سكن هذا المَوْضِعٌ فنُسب إليه، ثُمَّ غلب اسمه عليه، وبه كانت الغزوة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل. حيث لقي رسول الله - ﷺ - فيها صناديد قريش ، وهي أولى غزواته صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها، وهي بدر الكبرى ، وفيها قال الله تعالى: ﴿ لقد نصركم الله ببدر ﴾(آل عمران، ١٢٣).

وهذه الغزوة التي رفع الله بها قوماً في الدنيا والآخرة ، وخفض بها آخرين ، وأيد الله رسوله والمؤمنين بملائكته فقاتلت معه.

مكة المكرمة

هي بلدة قد وضعها الله عز وجل بين جبال محدقة بها، وقد تعددت أسماؤها فهي بكة وأم القرى والبلد الأمين والقرية وغيرها من الأسماء التي سميت بها.

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - ولم يعلم بلد أكثر أسماء من مكة المكرمة والمدينة

المنورة لكونهما أفضل بقاع الأرض.

ومكة كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز حاكيا عن نبيه الخليل بواد غير ذي زرع، ولكن سبقت لها الدعوة المباركة، فكل طرفة تجلب إليها وثمرات كل شيء تجبى لها لطفا من الله بسكان حرمه الأمين وجاوري بيته العتيق.

وهي خير البلاد، وأحبها إلى الله ورسوله - ﷺ -، فعن عَبدِ الله بنِ عَدِيٍّ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ وقد ضمت مكة المكرمة مناسكَ عظيمة، وشعائرَ مباركة، ارتبط بها أداء ركنٍ من أركان الإسلام، وهو الحج.

المسجد الحرام شرفه الله وكرمه:

المسجد الحرام في وسط البلد، والكعبة العظمى في وسطه ومنظره بديع ومرآه جميل لا يتعاطى اللسان وصف بدائعه، ولا يحيط الواصف كماله.

والمسجد الحرام كان صغيرا، ولم يكن عليه جدار، إنما كانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فضاق على الناس المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- دورا فهدمها، ثم أحاط عليه جدارا قصيرا، ثُمَّ وَسَّعَ المسجد عُثْمَانُ- رضي الله عنه- .

ولقد أضحى المسجد الحرام أكبر مسجد على وجه الأرض بما يسر الله تعالى له من عناية كبيرة واهتمام عظيم عبر عصور التاريخ، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

فضل الصلاة في المسجد الحرام

عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أفضل من مئة أَلْفِ صَلاةٍ) .

الكعبة المشرفة

قال الله عز وجل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (المائدة:٩٧).

وفي تسميتها بالكعبة قولان: أحدهما: لأنها مربعة، قاله عكرمة ومجاهد، ويقال: برد مكعب إذا طوي مُرَبَّعًا. وَالثَّانِي: لعلوها ونتوئها.

وسمي البيت حراما؛ لأَنَّ حرمته انتشرت، فلا يصاد عنده ولا حوله، ولا يختلى مَا عنده مِنَ الحشيش.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَأَرَادَ بِتَحْرِيمِ الْبَيْتِ سَائِرَ الْحَرَمِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَدْيًا بالغ الكعبة﴾(المائدة،٩٥) وأراد الحرم.

وقيل: سميت كعبة؛ لأن إبراهيم ـــ عليه الصلاة و السلام ـــ لما بناها جعل طولها في السماء تسعة أذرع، وجعل من الركن الأسود إلى الركن الشمالي مما يلي بابها اثنتين وثلاثين ذراعا.

ولم تزل كذلك إلى أن هدمتها قريش ، وعمّرتها قبل بعثة النبي - ﷺ - ، وصغروها عما كانت عليه .

وبقيت كذلك إلى عهد ابن الزبير فاحترقت، ولما بناها ابن الزبير - رضي الله عنهما -أدخل الحجر فيها، وزاد في ارتفاعها وعرضها ،وعمل لها بابين: بابا من المشرق وبابا من المغرب.

فلما جاء الحجاج أعاد الكعبة إلى ما كانت ، وسد باب الكعبة الغربي.

أما تسميتها بالبيت العتيق ففيه أربعة أقوال:

أَحَدُهَا: لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنه قال:

(إنما سمى الله البيت العتيق، لأن الله عز وجل أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليهم جَبَّارٌ قَطُّ) .

الثاني: أَنَّ الْعَتِيقَ بِمَعْنَى الْقَدِيمِ، قاله الحسن.

والثالث: لأنه لَمْ يُمْلَكْ قَطُّ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

والرابع: لأَنَّهُ أعتق من الغرق زمان الطوفان.

المَقَامُ:

بالفتح، ومقامات الناس، مجالسهم، والمقام في المسجد الحرام هو في الأصل، ذلك الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم - عليه السلام - أثناء بناء الكعبة، ثم بني عليه مصلى صغير يصلّي الناس فيه ركعتين بعد الطواف، ثم هدم في التوسعة، ووضع على الحجر زجاج بلوري ترى من ورائه آثار قدم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - الماثلة في الحجر.

الصفا

الصفا في اللغة جمع صفاة، وهو الحجر العريض الأملس.

والصفا مكان مرتفع من شعائر الله يتم السعي منه إلى المروة، وهو في الجهة الجنوبية على بعد ١٣٠ م من الكعبة المشرفة، وقد جعله الله تعالى من أعلام دينه الظاهرة كما قال تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾(البقرة،١٥٨).

وأوَّل مَنْ سَعَى بين الصفا والمروة هاجر أمُّ إسماعيل - عليهما السلام، لَمَّا نفد الماء منها، وبدأ ولِيدُها إسماعيلُ بالبكاء من العطش، راحت تبحث عن الماء، فوجدت أقرب ما يكون منها هو الصفا والمروة، فأخذت تصعد عليهما، وتجري بينهما بحثاً عن الماء، لتضرب بنظرها إلى ما يُمكن أن تلتقطه عيناها، وإذا مرَّت ببطن الوادي بينهما أسرعت، ولَمَّا قطعت الشوط السابع سمعت هَمْساً من جهة وَلِيدِها، فذهبت لتطمئنَّ عليه، فوجدت الماءَ يتفجَّر من تحت قدميه.

فالصفا والمروة من شعائر الله المعظمة التي عظمها الله تعالى وأمر بتعظيمها؛ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سَنَّ رسولُ اللهِ ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا أي: بين الصفا

والمروة، فَلَيْسَ لأِحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا.

المروة

هي الحجارة البيض البراقة، وهي المكان المرتفع تقع في الجهة الشمالية الشرقية من الحرم المكي على بعد ٣٠٠م من الكعبة المشرفة ،وهي من شعائر الله تعالى .

عَرَفَاتٌ

عرفة وعرفات واحد عند أكثر أهل العلم، وقيل في سبب تسميتها بعرفة إن جبرائيل، عليه السّلام، عرّف إبراهيم، عليه السلام، المناسك فلما وقفه بعرفة قال له: عرفت؟ قال: نعم، فسميت عرفة، ويقال: بل سميت بذلك ؛ لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة، ويقال: إن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف.

ويوم عرفة أفضل أيام السنة لم ير الشيطان في يوم أدحض ولا أحقر منه في ذلك اليوم؛ لما يرى فيه من كثرة الرحمات الحاصلة لعموم بني آدم.

فقد قال ﷺ: «مَا رَأَى الشَّيْطَانَ يَوْماً هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلاَ أَدْحَرُ، وَلاَ أَحْقَرُ، وَلاَ أَغْيَظُ، مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ. وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ. إِلاَّ مَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ».

قِيلَ: وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ؟

قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلاَئِكَةَ».

وقال عليه الصلاة والسلام: « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلاَئِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ؟ »

المُزْدَلِفَةُ

أحد مشاعر الحج، بين منى وعرفة، يفيض الحاج إليها ليلة عشر من ذي الحجة ، فيصلي فيها المغرب والعشاء قصراً وجمعاً، وتسمى المزدلفة لاجتماع الناس بها ،وقيل: لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم، وقيل: لأن الناس يدفعون منها زلفة واحدة أي:

جميعا، ، وفيها المشعر الحرام المذكور في القرآن الكريم، ومنها يسن للحاج أن يلتقط الجمار . وهي أرض واسعة بين الجبال.

مِنًى

تقع في شرق مكة، وتبعد عن المسجد الحرام ٦ كم تقريبا، وهي موضع من مواضع أداء شعائر الحج، وحدها مِنْ جَمْرَةِ العقبة إلى وادي محسر. وفي الأثر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلا سَأَلَهُ: لِمَ سُمِّيَتْ مِنًى؟ فَقَالَ: لِمَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ دِمَاءِ الذَّبَائِحِ وَشُعُورِ النَّاسِ، تَقَرُّبًا إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَمَنِّيًا للأمان من عذابه.

وفي منى يبيت الحاج ثلاثة أيام وهي)الحادي عشر، والثاني عشر ، والثالث عشر) وإن تعجل فيومان لقول النبي - ﷺ - قال: (أيَّام مِنًى ثلاثةٌ، فمَنْ تعجَّلَ في يومينِ فلا إثمَ عليه، ومن تأخَّرَ فلا إثمَ عليه) .

الهوامش

أذكارِ الحجّ والعمرة
من كتاب الأذكار للإمام النووي
- رحمه الله تعالى-

اعلم أن أذكار الحجّ ودعواته كثيرة لا تنحصر، ولكن نُشير إلى المهمّ من مقاصدها، والأذكار التي فيها على ضربين: أذكار في سفره، وأذكار في نفس الحجّ.

وأما التي في نفس الحج ، فنذكرُها على ترتيب عمل الحجّ إن شاء الله تعالى، وأحذفُ الأدلة والأحاديث في أكثرها خوفاً من طول الكتاب، وحصول السآمة على مُطالِعِهِ، فإن هذا البابَ طويلٌ جداً، فلهذا أسلُك فيه الاختصار إن شاء الله تعالى.

فأول ذلك: إذا أراد الإِحرام اغتسل وتوضأ ولبس إزاره ورداءه ، ثم يُصلِّي ركعتين، ويُستحبّ أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(الكافرون،١)، وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص،١) فإذا فَرغَ من الصلاة استحبّ أن يدعوَ بما شاء، فإذا أراد الإِحرام نواه بقلبه.

ويُستحبُّ أن يساعدَ بلسانه قلبه ، فيقول: نويتُ الحجَّ وأحرمتُ به لله عز وجل، لبّيك اللَّهمَّ لبّيك إلى آخر التلبية.

والواجب نيّة القلب، واللفظ سنّة، فلو اقتصرَ على القلب أجزأه، ولو اقتصر على اللسان لم يجزئه.

قال الإِمام أبو الفتح سُليم بن أيوب الرازي: لو قال يعني بعد هذا: اللَّهمّ لك

أحـرم نفـسي وشـعري وبـشري ولحمـي ودمـي، كان حسـناً .

وقـال غـيره: يقـول أيضـاً: اللهـمّ إني نويـت الحـجّ فأعنّـي عليـه وتقبلـه منـي، ويلبّـي فيقـول:

- لبيـكَ اللَّهـمّ لبّيـك، لبّيـك لا شريـك لـك لبّيـك، إن الحمـد والنعمـة لـك والمُلْـك، لا شريـك لـك، هـذه تلبيـة رسـول الله ﷺ، ويُسـتحبّ أن يقـولَ في أوّل تلبيـة يلبّيهـا: لبّيـك اللَّهـمّ بحجـة، إن كان أحـرم بحجـة، أو لبّيـك بعمـرة، إن كان أحـرم بهـا، ولا يُعيـد ذكـرَ الحـجّ والعمـرة فيـما يـأتي بعـد ذلـك مـن التلبيـة عـلى المذهـب الصحيـح المختـار.

واعلـم أن التلبيـةَ سـنّةٌ لـو تركهـا صـحّ حجّـه وعمرتُـه ولا شـئ عليـه، لكـن فاتتـه الفضيلـةُ العظيمـة والاقتـداء برسـول الله ﷺ وسـلم، هـذا هـو الصحيـح مـن مذهبنـا ، ومذهـب جماهير العلـماء، وقـد أوجبهـا بعـضُ أصحابنـا، واشـترطَها لصحـة الحـجّ بعضُهـم، والصـوابُ الأوّل، لكـنْ تُسـتحبّ المحافظـة عليهـا للاقتـداء برسـول الله ﷺ، وللخـروج مـن الخـلاف، والله أعلـم.

وإذا أحرم عن غيره قال: نويتُ الحجَّ ، وأحرمتُ به لله تعالى عن فلان، لبّيك اللَّهمّ عن فلان ، إلى آخر ما يقوله مَن يُحرم عن نفسه.

فصل:

ويُسـتحبّ أن يصـلِّي على رسـول الله ﷺ بعـد التلبيـة، وأن يدعوَ لنفسـه ولمن أراد بأمـور الآخرة والدنيـا، ويسـأَلُ الله تعـالى رضوانَـه والجنّـة، ويسـتعيذُ بـه مـن النـار، ويُسـتحبّ الإكثـار مـن التلبيـة، ويسـتحبّ ذلـك في كلّ حـال قائِـماً، وقاعـداً، وماشـياً، وراكبـاً، ومضطجعـاً، ونـازلاً، وسـائراً، ومُحْدِثـاً، وجُنبـاً، وحائضـاً، وعنـد تجـدّد الأحـوال وتغايرهـا زمانـاً ومكانـاً، وغـير ذلـك، كإقبـال الليـل والنهـار، وعنـد الأسـحار، واجتـماع الرِّفـاق، وعنـد القيـام والقعـود، والصعـود والهبـوط، والركـوب والنـزول، وأدبـار الصَّلـواتِ، وفي المسـاجد كلِّهـا، والأصـحُّ أنـه لا يُلبّـي في حـال الطـواف والسـعي، لأن لهـما أذكاراً مخصوصـة.

ويُستحبّ أن يرفعَ صوتَه بالتلبية بحيث لا يشقّ عليه، وليس للمرأة رفع الصوت؛ لأن صوتَها يُخاف الافتتان به.

ويُستحبّ أن يُكرِّر التلبية كل مرّة ثلاث مرات فأكثر، ويأتي بها متوالية لا يقطعها بكلام لا غيره.

وإن سلَّم عليه إنسانٌ ردّ السلام، ويُكره السلام عليه في هذه الحالة.

- وإذا رأى شَيْئاً فَأَعْجَبَهُ قال: لبّيك إن العيشَ عيشُ الآخرة، اقتداءً برسول الله ﷺ .

واعلم أن التلبية لا تزالُ مستحبةً حتى يرميَ جمرة العقبة يومَ النحر أو يطوفَ طوافَ الإفاضة إن قدّمه عليها، فإذا بدأ بواحد منهما قطعَ التلبية مع أول شروعه فيه، واشتغلَ با لتكبير .

قال الإمام الشافعي رحمه الله: ويُلبّي المعتمرُ حتى يَستلم الركن.

فصل :

فإذا وصل المحرمُ إلى حرم مكة زاده الله شرفاً، أستحبَّ له أن يقولَ: اللهم هَذَا حَرَمُكَ وأَمْنُكَ فَحَرِّمنِي على النارِ، وأَمِّنِي مِن عَذَابِكَ يَومَ تَبْعَثُ عِبادَكَ، وَاجْعَلْنِي مِن أولِيائِك وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، ويدعو بما أحبّ .

فصل :

فإذا دخل مكة ووقع بصرُه على الكعبة ووصلَ المسجدَ، استحبّ له أن يرفع يديه ويدعو، فقد جاء أنه يُستجاب دعاءُ المسلم عند رؤية الكعبة، ويقول: اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا البَيْتَ تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً وَتَكْرِيماً وَمَهَابَةً، وَزِدْ مِن شَرَّفَهُ وكَرَمَهُ مِمَّنْ حَجَّه أو اعْتَمَرَه تَشْرِيفاً وَتَكْرِيماً وَتَعْظِيماً وَبِرّاً.

ويقول: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ، حَيِّنا رَبَّنا بالسَّلامِ، ثم يدعو بما شاء من خيراتِ الآخرة والدنيا، ويقول عند دخول المسجد ما قدّمناه في أوّل الكتاب في جميع المساجد.

أذكار الطواف:

يُستحبّ أن يقول عند استلام الحجر الأسود وعند ابتداء الطواف أيضاً: بِسمِ اللهَّ واللهُّ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ إِيمَاناً بِكَ وَتَصدِيقاً بِكِتابِكَ، وَوَفاءً بِعَهْدِكَ وَاتِّباعاً لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وسلم.

ويُستحبّ أن يكرِّر هذا الذكر عند محاذاة الحجر الأسود في كل طوفة، ويقولُ في رمله في الأشواط الثلاثة: « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حجا مبرورا وذنْباً مَغْفُوراً، وَسَعْياً مَشْكُوراً »

ويقول في الأربعة الباقية من أشواظا لطواف: « اللَّهُمَّ اغْفِر وَارْحَمْ، وَاعْفُ عَمَّا تَعْلَمْ وَأَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَم، اللَّهُمَّ رَبَّنا آتنا في الدُّنْيا حسنة وفي الآخرة حسنة وَقِنا عَذَابَ النَّارِ».

قال الشافعي رحمه الله: أحبُّ ما يُقال في الطواف: اللَّهُمَّ رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً « إلى آخره، قال: وأُحِبُّ أن يُقال في كله، ويُستحبّ أن يدعوَ فيما بين طوافه بما أحبّ من دين ودنيا، ولو دعا واحد وأمَّن جماعةٌ فحسن.

وحُكي عن الحسن رحمه الله أن الدعاء يُستجاب هنالك في خمسة عشر موضعاً: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي المسعى، وخلف المقام، وفي عرفات، وفي المزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاث، فمحروم مَن لا يَجتهد في الدعاء فيها.

ومذهب الشافعي وجماهيرُ أصحابه أنه يُستحبّ قراءةُ القرآن في الطواف؛ لأنه موضعُ ذكر.

وأفضلُ الذكر قراءةُ القرآن.

واختار أبو عبد الله الحليمي من كبار أصحاب الشافعي أنه لا يُستحبّ قراءة القرآن فيه، والصحيحُ هو الأول.

قال أصحابُنا: والقراءةُ أفضلُ من الدعوات غير المأثورة، وأما المأثورةُ فهي أفضل من

القـراءة عـلى الصحيـح.

وقيل: القراءة أفضل منها.

قـال الشـيخ أبـو محمـد الجوينـي رحمـه الله: يُسـتحبّ أن يقـرأ في أيـام الموسـم ختمـةً في طوافـه فيعظُـم أجرهـا ، والله أعلـم.

ويُسـتحبّ إذا فـرغَ مـن الطـواف ومـن صـلاة ركعتـي الطـواف أن يدعـوَ بـما أحـبّ، ومـن الدعـاء المنقـول فيـه: اللَّهُـمَّ أَنَـا عَبْـدُكَ وَابْـنُ عَبْـدِكِ أَتَيْتُـكَ بِذُنُـوبٍ كَثِـيرَةٍ وأَعْـمالٍ سَـيِّئَةٍ وَهَـذَا مَقَـامُ العائِـذِ بِـكَ مِـنَ النَّـارِ فاغْفِـرْ لِي إِنَّـكَ أَنْـتَ الغَفُـورُ الرَّحِيـمُ ».

الدعاء الملتزم، وهو ما بين الكعبة والحجر الأسود:

وقد قدَّمْنَا أنه يُستجاب فيه الدعاء.

ومـن الدعـوات المأثـورة: « اللَّهُـمَّ لَـكَ الحَمْـدُ حَمْـداً يُـوَافِي نعمـك، ويكافـئ مَزِيـدَكَ، أَحْمَـدُكَ بِجَمِيـعِ مَحَامِـدِكَ مـا عَلِمْـتُ مِنْهَـا وَمَـا لَمْ أَعْلَـمْ عـلى جَمِيـعِ نِعَمِـكَ مـا عَلِمْـتُ مِنْهـا وَمَـا لَمْ أَعْلَـمْ، وَعَـلى كُلّ حـالٍ، اللَّهُـمَّ صَـلِّ وَسَـلِّمْ عـلى مُحَمَّـدٍ وَعَـلى آلِ مُحَمَّـدٍ، اللَّهُـمَّ أَعِـذنِي مِـنَ الشَّـيْطانِ الرَّجِيـمِ، وأَعِـذْنِي مِـنْ كُلِّ سُـوءٍ، وَقَنِّعْنِـي بِـمَا رَزَقْتَنِـي وَبَـارِكْ لِي فِيـهِ، اللَّهُـمَّ اجْعَلْنِـي مِـنْ أَكْـرَمِ وَفْـدِكَ عَلَيْـكَ، وألْزِمْنِـي سَـبِيلَ الاسْـتِقَامَةِ حتَّـى أَلْقـاكَ يـا رب العالمـين، ثـم يدعـو بـما أحـب .

الدعاء في الحِجْر

بكسر الحاء وإسكان الجيم، وهو محسوب من البيت. وفيه يُستجاب الدعاءُ فيه.

ومـن الدعـاء المأثـور فيـه: يـا رَبّ أَتَيْتُـكَ مِـنْ شُـقَّةٍ بَعِيـدَةٍ مُؤَمِّـلاً مَعْرُوفَـكَ فَأَنِلْنِـي مَعْرُوفـاً مِـنْ مَعْرُوفِـكَ تُغْنِينِـي بِـهِ عَـنْ مَعْـرُوفِ مَـنْ سِـوَاكَ يـا مَعْرُوفـاً بالمَعْـرُوفِ ».

الدعاء في البيت:

وقد قدَّمْنا أنه يُستجاب الدعاءُ فيه.

وروينـا في كتـاب النسـائي عـن أُسـامةَ بـن زيـد رضي الله عنهـما -أن رسـول الله ﷺ لـما دخـلَ

البيتَ أتى ما استقبلَ من دُبر الكعبة فوضعَ وجهَه وخدّه عليه، وحمِدَ اللهَ تَعالى وأثنى عليه وسألَه واستغفرَه، ثم انصرفَ إلى كلِّ ركنٍ من أركانِ الكعبةِ، فاستقبلَه بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله عز وجل والمسألة، والاستغفار، ثم خرجَ»

أذكار السعي:

وقد تقدَّم أنه يُستجاب الدعاءُ فيه، والسُّنّة أن يُطيل القيام على الصفا، ويستقبل الكعبة، فيُكبّر ويدعو فيقول: اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أكْبَرُ، ولله الحَمْدُ، اللهُ أكْبَرُ على ما هَدَانا، والحَمْدُ لله على ما أولانا، لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي ويُمِيتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ على كل شيء قَدِيرٌ،لا إلهَ إلَّا اللهُ، أنجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأحْزَابَ وَحْدَهُ، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين لَهُ الدّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُون، اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، وَإِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعادَ، وإِنِّي أسألُكَ كما هَدَيْتَني لِلإِسْلامِ أنْ لا تَنْزِعَهُ مِنِّي حتَّى تَتَوَفَّاني وأنا مُسْلِمٌ ».

ثم يدعو بخيرات الدنيا والآخرة، ويكرّر هذا لذكر والدعاء ثلاثَ مرّات، ولا يُلبّي، وإذا وصل إلى المروة رَقَى عليها وقال الأذكار والدعواتِ التي قالها على الصفا

وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول على الصفا: اللهم اعصمنا بدينك وطواعيتك وطواعية رسولِك ﷺ، وجنبنا حدودك، اللَّهُمَّ اجْعَلْنا نُحِبُّكَ ونُحِبُّ مَلائِكَتَكَ وأنْبِياءَكَ وَرُسُلَكَ، وَنُحِبُّ عِبادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنا إلَيْكَ وَإلى مَلائِكَتِكَ وإلَى أنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ، وإلى عِبادِكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ يَسِّرْنا لليُسْرَى، وَجَنِّبْنا العُسْرَى، واغْفِرْ لَنا في الآخِرَةِ والأولى، وَاجْعَلْنا مِنْ أئمَّةِ الْمُتَّقِينَ.

ويقول في ذهابه ورجوعه بين الصفا والمروة: رَبّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتجاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ إنَّكَ أنْتَ الأعَزُّ الأكْرَمُ، اللَّهُمَّ آتِنا في الدُّنْيا حسنة وفي الآخرة حسنة وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

ومن الأدعية المختارة في السعي وفي كل مكان:

- « اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلْبي على دِينكَ ».

- « اللَّهُـمَّ إني أسـألُكَ مُوجِبـاتِ رَحْمَتِـكَ، وَعَزَائِـمَ مَغْفِرَتِـكَ وَالسَّـلامَةَ مِـنْ كُلِّ إثْـمٍ، وَالفَـوْزَ بالجَنَّـةِ، وَالنَّجـاةَ مِـنَ النَّـارِ ».

- « اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ وَالغِنَى ».

- « اللَّهُمَّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِك ».

- «اللَّهُـمَّ إني أسـألُكَ مِـنَ الخَـيْرِ كُلِّـهِ مـا عَلِمْـتُ مِنْـهُ وَمـا لَمْ أعْلَـمُ، وأعُـوذُ بِـكَ مِـنَ الـشَّرّ كُلِّـهِ مـا عَلِمْـتُ مِنْـهُ وَمَـا لَمْ أعْلَـمْ، وأسـألُكَ الجَنَّـةَ وَمـا قَـرّبَ إِلَيْهـا مِـنْ قَـوْلٍ أوْ عَمَـلٍ، وأعُـوذُ بِـكَ مِـنَ النَّـارِ وَمَـا قَـرَّبَ إِلَيْهـا مِـنْ قَـوْلٍ أوْ عَمَـلٍ ».

ولو قرأ القرآن كان أفضل.

وينبغي أن يجمع بين هذه الأذكار والدعوات والقرآن، فإن أراد الاقتصار أتى بالمهمّ.

الأذكار التي يقولها في خروجه من مكة إلى عرفات

يُستحبّ إذَا خـرجَ مِـنْ مكـة متوجهـاً إلى مِنـىً أن يقـول: اللَّهُـمَّ إيَّـاكَ أرْجُـو، وَلَـكَ أدْعُـو، فَبَلِّغْنِـي صَالِـحَ أمَلِي، واغْفِـرْ لِي ذُنُـوبِي، وَامْنُـنْ عَـلَيَّ بِـما مَنَنْـتَ بِـهِ عـلى أهْـلِ طاعَتِـكَ إنَّـكَ عـلى كل شـئ قديـر.

وإذا سـار مـن مِنـىً إلى عَرَفَـةَ استُحِبَّ أن يقـول: اللَّهُـمَّ إلَيْـكَ تَوَجَّهـتُ، ووجهـك الكَرِيـمَ أرَدْتُ، فاجْعَـلْ ذَنْبِـي مَغْفُـوراً، وَحَجِّـي مَـبْرُوراً، وارْحَمْنِـي وَلَا تُخَيِّبْنـي إنَّـكَ عـلى كل شـئ قديـر

ويُلَبِّـي ويقـرأ القـرآن، ويُكثـر مـن سـائر الأذكار والدعـوات، ومـن قولـه: اللَّهُـمَّ آتِنـا في الدُّنْيـا حسـنة وفي الآخـرة حسـنة وَقِنـا عَـذَابَ النَّـارِ.

في الأذكار والدعوات المستحبّات بعرفات

- قـال عليـه الصـلاة والسـلام :« خَـيْرُ الدُّعـاءِ يَـوْمَ عَرَفَـة، وَخَـيْرُ مـا قُلْـتُ أنـا وَالنَّبِيُّـونَ مِـنْ قَبْلِي: لا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيـكَ لَـهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ وَلَـهُ الحَمْـدُ وَهُـوَ عـلى كُلّ شـئ قَدِيـرٌ».

فيُسـتحبّ الإكثـارُ مـن الذكـر والدعـاء، ويَجتهـدُ في ذلـك، فهـذا اليـوم أفضـلُ أيـام السـنة

للدعاء، وهو مُعظم الحج ، ومقصودُه والمعوّل عليه، فينبغي أن يستفرغَ الإنسانُ وُسعَه في الذكر والدعاء، وفي قراءة القرآن، وأن يدعوَ بأنواع الأدعية، ويأتي بأنواع الأذكار، ويدعو لنفسه، ويذكر في كلّ مكان، ويدعو منفرداً ومع جماعة، ويدعو لنفسه، ووالديه، وأقاربه ومشايخه، وأصحابه، وأصدقائه، وأحبابه، وسائر مَن أحسن إليه، وجميع المسلمين، وليحذرْ كلَّ الحذرِ من التقصير في ذلك كله، فإن هذا اليوم لا يمكن تداركه، بخلاف غيره، ولا يتكلَّفُ السجعَ في الدعاء، فإنّه يُشغل القلبَ، ويُذهبُ الانكسار، والخضوعَ، والافتقار، والمسكنة والذلّة، والخشوع، ولا بأس بأن يدعو بدعواتٍ محفوظة معه، له أو غيره، مسجوعة إذا يشتغل بتكلّف ترتيبها ومراعاة إعرابها.

والسُّنّة أن يخفضَ صوتَه بالدعاء، ويكثر من الاستغفار والتلفّظ بالتوبة من جميع المخالفات، مع الاعتقاد بالقلب، ويلحّ في الدعاء، ويكرّره، ولا يستبطئ الإجابة، ويفتح دعاءه ويختمه بالحمد لله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى، والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، وليختمه بذلك، وليحرص على أن يكون مستقبلَ الكعبة وعلى طهارة.

- وروينا في كتاب الترمذي عن عليّ رضي الله عنه قال: «أكثرُ دعاءِ النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم عَرَفة في الموقف: « اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ كالذي نقولُ، وخيراً مما نقولُ، اللَّهُمَّ لك صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَمَاتِي، وإلَيْكَ مآلِي، وَلَكَ رَبِّ تُراثي ، اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ، وَشَتاتِ الأمْرِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ ما تجيء بِهِ الرّيحُ » .

ويُستحبّ الإكثار من التلبية فيما بين ذلك، ومن الصَّلاة والسلامُ على رسول الله ﷺ، وأن يُكثِرَ من البكاء مع الذكر والدعاء، فهنالك تُسكبُ العَبَرات، وتُستقال العثرات، وترتجى الطلبات، وإنه لموقفٌ عظيم، ومَجمع جليل، يجتمعُ فيه خيار عباد الله المخلصين، وهو أعظم مجامع الدنيا.

ومن الأدعية المختارة « اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة و، قنا عَذَابَ النَّارِ ».

- « اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً، وإِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْني إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ».

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَغْفِرَةً تُصْلِحُ بِها شأني فِي الدَّارَيْنِ، وارْحَمْنِي أَسْعَدُ بِهَا في الدَّارَيْنِ، وَتُبْ عليَّ تَوْبَةً نَصُوحاً لا أَنْكُثها أَبَداً، وأَلْزِمْنِي سَبِيلَ الاسْتِقَامَةِ لا أَزِيغُ عَنْها أَبَداً » .

« اللَّهُمَّ انْقُلْنِي مِنْ ذُلِّ المَعْصِيَةِ إلى عِزِّ الطَّاعَةِ، وأَغْنِنِي بحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّن سِوَاكَ».

-«وَنَوِّرْ قَلْبِي وَقَبْرِي، وأَعِذْنِي مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، واجْمَعْ لي الخَيْرَ كُلَّهُ ».

فصل في الأذكار المستحبّة في الإفاضة من عَرَفَة إلى مزدلفة: قد تقدم أنه يُستحبّ الإكثارُ من التلبية في كل موطن، وهذا من آكدها.

ويُكثر من قراءة القرآن، ومن الدعاء.

- ويُستحبّ أن يقول: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ.ويُكرِّر ذلك.

ويقول: إِلَيْكَ اللَّهُمَّ أَرْغَبُ، وإِيَّاكَ أَرْجُو، فَتَقَبَّلْ نُسُكِي، وَوَفِّقْنِي، وارْزُقْنِي فيهِ مِنَ الخَيْرِ أَكْثَرَ ما أَطْلُبُ، وَلا تُخَيِّبْني إِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الجَوَادُ الكَرِيمُ ، وهذه الليلة هي ليلة العيد، وقد تقدَّمَ في أذكار العيد بيان فضل إحيائها بالذكر والصلاة، وقد انضمّ إلى شرف الليلة شرفُ المكان، وكونُه في الحرم والإحرام، ومَجمعُ الحجيج، وعقيب هذه العبادة العظيمة، وتلك الدعوات الكريمة في ذلك الموطن الشريف.

الأذكار المستحبة في المزدلفة والمشعر الحرام

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِنْ عَرفَاتٍ فاذْكُرُوا اللَّه عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ واذْكُرُوهُ كما هَداكُمْ وإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّين﴾ [البقرة: ١٩٨] فيُستحبّ الإكثارُ من الدعاء في المزدلفة في ليلته ومن الأذكار والتلبية وقراءة القرآن، فإنها ليلة عظيمة، كما

قدَّمناه في الفصل الذي قبل هذا.

ومن الدعاء المذكور فِيهَا: اللَّهُمَّ إني أسألُكَ أنْ تَرْزُقَنِي في هَذَا المَكانِ جَوامِعَ الخَيْرِ كُلِّهِ، وأنْ تُصْلِحَ شأنِي كُلَّهُ، وأنْ تَصْرِفَ عَنِّي الشَّرَّ كُلَّهُ، فإنَّه لَا يَفْعَلُ ذلكَ غَيْرُكَ، وَلَا يَجُودُ بِهِ إلَّا أنت

وإذا صلَّى الصبحَ في هذا اليوم صلَّاها في أوّل وقتها، وبالغَ في تبكيرها، ثم يسيرُ إلى المشعر الحرام، وهو جبل صغير في آخر المزدلفة يُسمَّى «قُزَح» بضم القاف وفتح الزاي، فإن أمكنه صعودُه صَعَدَه، وإلا وقف تحتَه مستقبلَ الكعبة، فيَحمد الله تعالى، ويُكبِّره، ويُهلِّله ويُوحِّده، ويُسبِّحه، ويُكثر من التلبية والدعاء.

ويُستحبّ أن يقولَ: اللَّهُمَّ كما وَقَفْتَنا فِيهِ وأرَيْتَنا إيّاه، فَوَفِّقْنا لِذِكْرِكَ كما هَدَيْتَنا، وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا كما وَعَدْتَنا بِقَوْلِكَ، وَقَوْلُكَ الحَقّ ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(البقرة،١٩٨-١٩٩). ويُكثر من قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(البقرة،٢٠١).

ويُستحبّ أن يقول: « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْد كُلُّهُ، وَلَكَ الكَمالُ كُلُّهُ، ولك الجَلالُ كُلُّهُ، ولك التقديس كُلُّهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي جَميعَ ما أسْلَفْتُهُ، وَاعْصِمْنِي فِيما بَقِيَ، وَارْزُقْني عَمَلاً صَالِحاً تَرْضَى بِهِ عنِّي يا ذَا الفَضْلِ العَظِيمِ ».

اللَّهُمَّ إني أسْتَشْفِعُ إلَيْكَ بخَوَاصّ عِبَادِكَ، وأتَوَسَّلُ بِكَ إلَيْكَ، أسألُكَ أنْ تَرْزُقَنِي جَوَامِعَ الخَيْرِ كُلِّهِ، وأن تَمُنَّ عَلَيَّ بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلى أوْلِيائِكَ، وأنْ تُصْلِحَ حالي في الآخِرَةِ وَالدُّنْيا يا أرحم الراحمين .

الأذكار المستحبّة في الدفع من المشعر الحرام إلى منى:

إذا أسفر الفجرُ انصرفَ من المشعر الحرام متوجهاً إلى مِنىً، وشعارهُ التلبيةُ والأذكارُ

والدعاءُ والإكثارُ من ذلك كلّه، وليحرصْ على التلبية فهذا آخر زمنها، وربما لا يُقدَّر له في عمره تلبية بعدها.

الأذكار المستحبة بمِنى يَوْمَ النحر

إذا انصرفَ من المشعر الحرام ووصلَ مِنىً يُستحبّ أن يقول: الحَمْدُ للهَّ الَّذي بَلَّغَنِيها سالِماً مُعافىً، اللَّهُمَّ هَذِهِ مِنَى قَدْ أَتَيْتُها، وأنا عَبْدُكَ، وفي قَبْضَتِكَ أسألُكَ أنْ تَمُنَّ عَليَّ بِمَا مَنَنْتَ به على أوليائِكَ، اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنْ الحِرْمانِ وَالمُصِيبَةِ في دِينِي يا أرْحَمَ الراحمين.

فإذا شرعَ في رمي جمرة العَقَبة قطعَ التلبية مع أوّل حصاة واشتغلَ بالتكبير، فيُكبِّر مع كل حصاة، ولا يُسنُّ الوقوف عندها للدعاء ، وإذا كان معه هَدْي فنحرَه أو ذبحه، استحبّ أن يقول عند الذبح أو النحر: بِسْمِ اللهَّ واللهُّ أكْبَرُ، اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وسَلِّم ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَإِلَيْكَ، تَقَبَّلْ مِنِّي، أو تَقَبَّلْ مِنْ فُلانٍ إن كان يذبحه عن غيره. وإذا حلَقَ رأسه بعد الذبح فقد استحبّ بعض علمائنا أن يمسك ناصيته بيده حالة الحلق ويُكبِّر ثلاثاً ثم يقول: الحَمْدُ لله على ما هَدَانا، والحَمْدُ للهَّ على ما أنْعَمَ بِهِ عَلَيْنا، اللَّهُمَّ هَذِهِ نَاصِيَتِي فَتَقَبَّلْ مِنِّي وَاغْفِرْ لي ذُنُوبي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَلِلْمُحَلِّقِينَ والمُقَصِّرِينَ، يا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ آمِين

وإذا فرغ من الحلق كبَّر وقال: « الحَمْدُ للهَّ الذي قَضَى عَنَّا نُسُكَنا، اللَّهُمَّ زِدْنا إيمَاناً ويقينا وَعَوناً، وَاغْفِرْ لَنَا ولآبائِنا وأُمَّهاتِنا والمُسْلِمينَ أجْمَعِينَ .

الأذكار المستحبة بمِنىً في أيام التشريق

عن نُبَيْشَةَ الخير الهذليِّ الصحابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أيَّامُ التَّشْرِيقِ أيَّامُ أكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللهَّ تَعالى » فيُستحبّ الإكثار من الأذكار، وأفضلُها قراءة القرآن. والسنّة أن يقف في أيام الرمي عند الجمرة الأولى إذا رماها، ويستقبل الكعبة، ويحمَد الله تعالى، ويُكبِّر، ويُهلِّلُ، ويُسبِّح، ويدعو مع حضور القلب وخشوع الجوارح.

ويَمكثُ كذلك قدرَ سورة بقرة، ويفعلُ في الجمرة الثانية وهي الوسطى كذلك.

ولا يقفُ عند الثالثة، وهي جمرة العقبة.

فصل:

وإذا نفرَ من مِنىً فقد انقضى حجُّه، ولم يبقَ ذكرٌ يتعلَّق بالحجّ، لكنه مسافر، فيُستحبّ له التكبير والتهليل والتحميد والتمجيد وغير ذلك من الأذكار المستحبة للمسافرين، وسيأتي بيانُها إن شاء الله تعالى.

وإذا دخل مكة وأراد الاعتمار فعل في عمرته من الأذكار ما يأتي به في الحجّ في الأمور المشتركة بين الحجّ والعمرة وهي: الإحرام، والطواف، والسعي، والذبح، والحلق، والله أعلم.

فصل فيما يقوله إذا شرب ماء زمزم.

- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » وهذا مما عَمِلَ العلماءُ والأخيارُ به، فشربُوه لمطالبَ لهم جليلةٍ فنالوها.

قال العلماء: فيُستحبّ لمن شربَه للمغفرة أو للشفاء من مرضٍ ونحو ذلك أن يقول عند شربه: اللَّهُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » اللَّهُمَّ وإني أَشْرَبُهُ لِتَغْفِرَ لي وَلِتَفْعَلَ بي كَذَا وكَذَا، فاغْفِرْ لي أوِ افْعَلْ.

أو: اللَّهُمَّ إني أَشْرَبُهُ مُسْتَشْفِياً بِهِ فَاشْفِنِي، ونحو هذا، والله أعلم.

فصل:

وإذا أراد الخروج من مكة إلى وطنه طافَ للوَدَاع، ثم أتى الملتَزَم فالتزمه، ثم قال: اللَّهُمَّ، البَيْتُ بَيْتُك، وَالعَبْدُ عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبدِكَ، وابْنُ أَمَتِكَ، حَمَلْتَنِي على ما سَخَّرْتَ لي مِنْ خَلْقِكَ، حتَّى سَيَّرْتَني فِي بِلادِكَ، وَبَلَّغْتَنِي بِنِعْمَتِكَ حتَّى أَعَنْتَنِي على قَضَاءِ مَناسِكِكَ، فإنْ كُنْتَ رَضِيتَ عَنِّي فازْدَدْ عني رضى، وَإِلَّا فَمِنَ الآنَ قَبْلَ أنْ يَنأى عَنْ بَيْتِكَ دَارِي، هَذَا أَوَانُ انْصِرَافِي، إنْ أَذِنْتَ لي غَيْرَ مُسْتَبْدِلٍ بِكَ وَلا بِبَيْتِكَ، وَلا رَاغِبٍ

عَنْكَ وَلا عَنْ بَيْتِكَ، اللَّهُمَّ فأصْحِبْنِي العافِيَةَ في بَدَنِي وَالعِصْمَةَ في دِينِي، وأحْسِنْ مُنْقَلَبِي، وَارْزُقْنِي طاعَتَكَ ما أبْقَيْتَنِي واجْمَعْ لي خَيْرَي الآخِرةِ والدُّنْيا، إنَّكَ على كُلّ شيء قدير ويفتتح

هذا الدعاءَ ويختمه بالثناء على الله سبحانه وتعالى، والصلاة على رسول الله ﷺ كما تقدم في غيره من الدعوات.

وإن كانت امرأة حائضاً استحبّ لها أن تقف على باب المسجد، وتدعو بهذا الدعاء ثم تنصرف، والله أعلم.

زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذكارها

اعلم أنه ينبغي لكل من حجّ أن يتوجه إلى زيارة رسول الله ﷺ، سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن، فإن زيارته ﷺ من أهمّ القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات، فإذا توجَّه للزيارة أكثرَ من الصلاة عليه ﷺ في طريقه، فإذا وقعَ بصرُه على أشجار المدينة وحَرمِها وما يَعرفُ بها، زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم، وسأَلَ الله تعالى أن ينفعَه بزيارته ﷺ وأن يُسعدَه بها في الدارين، وليقلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ عَليَّ أبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَارْزُقْنِي في زِيارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ ﷺ ما رزقْتَهُ أوْلِياءَكَ وأهْلَ طَاعَتِكَ، واغْفِرْ لي وارْحمنِي يا خَيْرَ مَسْؤُول.

وإذا أراد دخول المسجد استحبّ أن يقولَ ما يقوله عند دخول باقي المساجد، وقد قدّمناه في أول الكتاب، فإذا صلّى تحية المسجد أتى القبر الكريم فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربع أذرع من جدار القبر، وسلَّم مقتصداً لا يرفع صوته، فيقول: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا خِيرَةَ الله مِنْ خَلْقِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهَّ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعلى آلِكَ وأصْحابِكَ وأهْلِ بَيْتِكَ وَعَلى النَّبِيِّينَ وَسائِرِ الصَّالِحِينَ ؛أَشْهَدُ أَنَّكَ بَلَّغْتَ الرِّسالَةَ، وأدَّيْتَ الأمانَةَ، وَنَصَحْتَ الأُمَّةَ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنَّا أفْضَلَ مَا جَزَى رَسُولاً عَنْ أُمَّتِهِ .

وإن كان قد أوصاه أحدٌ بالسَّلام على رسول الله ﷺ قال: السَّلام عليكَ يا رسولَ الله من فلان بن فلان، ثم يتأخرَ قدر ذراع إلى جهة يمينه فيُسلِّم على أبي بكر، ثم يتأخرُ ذراعا آخر فسلام على عُمر رضي الله عنهما، ثم يرجعُ إلى موقفه الأوّل قُبالة وجهِ رسول الله ﷺ فيتوسلُ به في حقّ نفسه، ويتشفعُ به إلى ربه سبحانه وتعالى، ويدعو لنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه ومَن أحسنَ إليه وسائر المسلمين، وأن يَجتهدَ في إكثار الدعاء، ويغتنم هذا الموقف الشريف ويحمد الله تعالى ويُسبِّحه ويكبِّره ويُهلِّله، ويُصلِّي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُكثر من كل ذلك، ثم يأتي الروضةَ بين القبر والمنبر فيُكثر من الدعاء فيها.

- وفي« صحيحي البخاري ومسلم « عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « مَا بَيْنَ قبري وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ ».

وإذا أراد الخروج من المدينة والسفرَ استحبّ أن يُودِّع المسجد بركعتين، ويدعو بما أحبّ ثم يأتي القبر فيُسلّم كما سلَّم أوّلاً، ويُعيد الدعاء، ويُودّع النبيّ ﷺ ويقول:«اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ هَذَا آخِرَ العَهْدِ بِحَرَمِ رَسُولِكَ، وَيَسِّرْ لِي العَوْدَ إِلى الحَرَمَيْنِ سَبِيلاً سَهْلَةً بِمَنِّكَ وَفَضْلِكَ، وَارْزُقْنِي العَفْوَ والعَافِيَةَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَرُدَّنا سالِمِينَ غانِمِينَ إلى أَوْطانِنا آمِنِينَ».

فهذا آخرُ ما وفّقني الله بجمعه من أذكار الحجّ، وهي وإن كان فيها بعض الطول بالنسبة إلى هذا الكتاب، فهي مختصرة بالنسبة إلى ما نحفظه فيه، والله الكريم نسأل أن يوفِّقنا لطاعته، وأن يجمعَ بيننا وبين إخواننا في دار كرامته.

قال ابن علاّن: ثم أورد الحافظ للحديث طرقاً كثيرة عند الطبراني وأبي عوانة وغيرهما، ثم قال: فهذه الروايات متفقة على ذكر البيت ومعناه.

أقول: وقد ذكر الحافظ بعض الروايات التي، جاءت بلفظ القبر، ولا تخلو من ضعف.

ومعني الحديث قال بعضهم: هو على ظاهره: وأن ذلك المكان ينقل إلى الجنة وليس كسائر الأرض يذهب ويفني، أو هو الآن من الجنة حقيقة، وقيل: معني الحديث: أن الصلاة في ذلك الموضع والذكر فيه يؤدي إلى رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجنة، ومن لزم العبادة عند المنبر يسقى يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ الحوض، كما جاء في الحديث: « الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السيوف» يريد أن الجهاد يؤدي إلى الجنة، وقيل: إن معناه: ما بين منبره وبيته حذاء رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجنة، وكذلك قوله في الحديث: قبري على ترعة من ترع الجنة، أي: حذاء ترعة من ترعها.

والله إعلم.

والترعة: الروضة على المكان المرتفع خاصة، فإن كان على المكان المطمئن فهو روضة.

- وعن العتبي قال: « كنتُ جالساً عند قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابيٌّ فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتُك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول: يا خيرَ مَنْ دُفنتْ بالقاع أعظُمُه * فطابَ من طيبهنَّ القاع والأكمُ نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ * فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرَمُ قال: ثم انصرفَ، فحملتني عيناي فرأيت النبيَّ ﷺ في النوم فقال لي: يا عُتْبيّ، الحقِ الأعرابيَّ فبشِّره بأن الله تعالى قد غفر له»

يـا راحـــــلين إلـــى منـــى بقيـــادي ---هيجتمـــوا يـــوم الرحيـــل فـــــؤادي

سرتـــم وســـار دليلكـــم يـــا وحشتـــي ----الشـــوق أقلقنـــي وصـــــوت الحـــادي

وحرمتمـــوا جفنـــي المنـــام ببعدكـــم--- يـــا ســـــــاكنين المنحنـــى والـــوادي

ويلـــوح لي مـــا بـــين زمـــزم والصفـــا ---عنـــد المقـــام ســـمعت صـــوت منـــادي

ويقـــول لي يـــا نائـــما جـــد الســـُـــرى ---عرفـــات تجـــلو كل قلـــب صـــادي

مـــن نـــال مـــن عرفـــات نظـــــرة ســـاعة ---نـــال الســـــرور ونـــال كل مـــراد

تـــالله مـــا أحـــــلى المبيـــت عـــلى منـــى ---في ليـــل عـــــــيد أبـــرك الأعيـــــاد

ضحـــوا ضحاياهـــم فســـــال دماؤهـــــا ---وأنـــا المتيـــم قـــد نحـــــرت فـــؤادي

لبســـوا ثيـــاب البيـــض شـــــارات اللقـــاء ---وأنـــا الملـــوع قـــد لبســـت ســـوادي

يـــارب أنـــت وصلتهـــم صـــــلني بهـــم ---فبحقهـــم يـــا رب فُـــــك قيـــادي

فـــإذا وصلتـــم ســـــــالميـــن فبلغـــــوا ---منـــي الســـــلام أُهيـــل ذاك الـــوادي

قولـــوا لهـــــــم عبـــد الرحيـــم متيـــم ---ومفـــــــارق الأحبـــاب والأولاد

صـــلى عليـــك الله يـــا علـــم الهـــــــدى--- مـــا ســـار ركـــب أو ترنـــم حـــادي

عن أبي هريرة
رضي الله عنه
ان النبي ﷺ قال:
«الحج المبرور ليس
له جزاء الا الجنة»
رواه البخاري ومسلم